عبد الناصر

من الحصار .. للإنقلاب

فاروق نعمى

مؤسسة أمون الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الناشر

مؤسسة أمون الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين

٢ شارع طه حسين - ابراج النيل - الزمالك

ت : ٣٤١١٤٨١ - فاكس : ٣٤١١٤٨٢

قبل القراءة

عندما يتعرض أى كاتب سياسى لسيرة ذاتية لزعيم أو حاكم أو حتى شخصية مؤثرة فإنه يبحث دائماً عن نقطة للبداية .

لايهم أن تكون تاريخ ميلاد أو نشأة أو أسرار حياة أو مغامرات سياسية أو غير سياسية .

ولكنه ..

يبحث عنها فى فرصة ظهرت فجأة فى حياة من يؤرخ له .. أو ضربة حظ غير متوقعة ... أو ظروف لم تكن فى الحسبان ووضعته بطل لسيرته تحت الأضواء ..

وهذا ما حدث مع جمال عبد الناصر ..

كانت نقطة بدايته فى فلسطين عام ١٩٤٨ .

فلو لم يكن حصار الفالوجا الذى عاشه إبان هذه الحرب لما عرفه العالم ولظل مثله مثل أى ضابط عاش ومات مجهولاً إلا من اسم ورتبة وربما بعض ذكريات تعيش فى ملف خدمته .

ولكن عبد الناصر ..

لم يكن ضابطاً عادياً مرت عليه الأحداث فلا يعيها .. كان يملك حساً وملكة استشعار يمكن توجيهها لهدف يسعى لتحقيقه وكان هذا الهدف هو حكم مصر كما جاء فى مذكراته الخاصة أو أحاديثه التى أدلى بها إبان فترة حكمه بعد حركة الجيش عام ١٩٥٢ .

استطاع الضابط المغمور " جمال عبد الناصر حسين " أن يجعل من الفالوجا ملحمة لذاته ومن ليالى الحصار عنواناً لبطولته عاشها معه الجيش المصرى وتحدث عنها العالم .. ونسج من هذه الليالى خطوة العمل المستقبلى لحياته والتخطيط

السرى للتخلص من الاستبداد والفســاد الذى عشش على حياة مصر سنوات طويلة .

وامتطى الضابط عبد الناصربعد انفراج الأزمة وفك الحصار – بقرار دولى – جواده الأشهب يدق أعناق السلطة الحاكمة بطريقة الانتشار فى المعسكرات يشيع أسرار الفساد العسكرى .. ويروى خيوط الخيانة العربية .. ويلقى الأضواء على الطرف الآخر عبر الأسلاك الشائكة ويثير فى الجنود نخوة الثورة على طغيان القادة الذين يحكمون الجيش بالجهل والغطرسة والاستبداد .

وفى ليالى الحصار الكئيبة واتت عبد الناصر الفرصة ليكسر حاجز الخوف والعقدة النفسية التى تلازم كل عربى الى يومنا هذا .. وأقصد الخوف من اللقاء مع اليهود فى مناسبة وَيُجرى – لأول مرة – مواجهة مباشرة مع العدو الماثل أمامه عبر الأسلاك الشائكة ويقود أمامهم مفاوضات إنهاء الحصار ويرفض دعاوى لاستسلام .

وبعد عودة الجيش من الحرب مهزوماً لم يستكن أو يخنع مثله كباقى قادته أو ضباطه الذين قاسوا مهزلة التشريد والتشرد بعد الاطاحة بالقوة الصامدة ولكنه جعل منها شرارة للعمل الثورى لتخليص الشعب من حكامه فنسج بنفسه خيوط العمل السرى وكوّن الخلايا داخل الوحدات ليحقق الهدف فى الاطاحة بالحكم أمرا ممكنا وليكون هو أول حاكم يتولى قيادة السلطة .. مستخدما– حجرة الطعام فى بيته الصغير –كمركز لتخطيط مراحل تنفيذ الأنقلاب .

وعلى صفحات كتابى هذا تقع البداية فى مكانها الصحيح .. يتجدد فيها الزمان والمكان .. ورحلة المشوار التى خاضها عبد الناصر من الحصار الى الانقلاب اخترت فيها " الضابط الأسمر " ليكون محور العمل والحديث .. نروى من خلاله ملحمة البطولة التى صنعها الجنود بشجاعتهم .. فإنتصروا على " مصيدة

الموت » التى احاطت بهم فى القرية الصغيرة ما يزيد على ١٣٠ يوما تحت الظلام.. والكتاب عنوانه (**من الحصار .. للإنقلاب**) .

روى فيها الصاغ جمال أحداث المعركة منذ البداية مروراً بالحصار وظروفه.. وحتى جزاء سنمار الذى لقيه أفراد مجموعة الفالوجا وانتهت بقيام ضباط الحصار بانقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للإطاحة بالملك والسلطة فى مصر وبداية عصر جديد .

ومن خلال الرواية .. تكلم بعض الأبطال ممن شاركوا فى صنع ملحمة الصمود .. منهم قائد الفالوجا الاميرالاى السيد طه صاب لقب «الضبع الأسود» .. وقائد الكتيبة الأولى القائمقام عزيز حيدر .. والفدائى معروف الحضرى .. والضابط وحيد رمضان وغيرهم ممن عاصروا وقائع الحصار ..

وسجلوا صور الصمود فى مذكراتهم الخاصة وشكلوا مع رواية « الصاغ » جمال مزيجاً من ملامح الحقيقة ولم يعرفها من الناس الكثير .

وحديث « الذكريات » كشف أسراراً خطيرة جداً عما جرى على الساحة الفلسطينية والقى الضوء على العديد من القضايا التى مازالت جوانبها لغزاً حتى الآن رغم مرور ما يزيد على ٤٤ عاماً وأجاب عن تساؤلات مختلفة حول بعض أمور حاول أصحابها إسدال الستار عليها أو اختلاق الظلال حولها لطمس معالمها ربما لخجل أو تورط فى جريمة أو هروب مخز من الميدان .

وحتى الآن لا يعرف أحد ما جرى داخل جيب الفالوجا أيام الحصار .

ولماذا وقعت القوة فى شباك العدو ـ بالصدفة ـ وسط ذهول العالم !! ربما كان للخيانة التى دبرها بعض الحكام العرب دور بارز فى وقوع الجريمة للخلاص من القوة المصرية حتى ولو أدى إلى اعداد المكان لإعدام ٤٠٠٠ جندى مصرى

فى الظلام وربما كان الجهل الغليظ الذى كان عليه القادة والتخبط الغرورى فى إصدار القرارات وربما .. وربما .. لتظل الفالوجا سراً من الأسرار !! وتتساقط صور الألغاز حتى الآن لايعرف أحد ماسر اغتيال قائد المتطوعين البطل أحمد عبد العزيز على أرض الفالوجا بعد استدعاء غامض !!لعبور مناطق محظور التجوال فيها بدون كلمة السر .. ولايعرف أحد تفاصيل المفاوضات المباشرة التى عقدها الصاغ جمال عبد الناصر وقائده الضبع الأسود مع الاسرائيليين تحت الحصار .. وهل كانت هذه المفاوضات المباشرة اشاعة أم حقيقة فرضت نفسها على ظروف الأحداث مع اقتراب شبح الموت البطىء من القوة المحاصرة فكانت المفاوضات أقصر الطرق للانقاذ .

والكثير يعرف اسرار " العمل السرى " الذى نسجه عبد الناصر ووجد فيه الطريق الوحيد لتكوين تنظيم الأحرار لتحقيق هدف الاستيلاء على السلطة .. وخاصة بعد نشر معظمها بناء على تعليمات قائدها شخصياً ولكن مازالت هناك أسرار عن تفاصيل المواجهة التى وقعت بين الملك والحكومة القائمة وقتها من جانب والضباط الأحرار من جانب آخر و نقطة الصدام التى وقعت بين الطرفين .. ولتكون النقطة الصدامية هى لحظة حياة أو موت للفريقين .

وغيرها من الأسرار التى ترويها هذه الصفحات .

وجمال عبد الناصر كتب مذكراته عن حرب فلسطين وحصار الفالوجا عام ١٩٥٤ .. وملأ صفحاتها بالنقد الشديد والأوصاف اللاذعة لقادته وحشد فيها أكبر قدر من التفاصيل خاصة المعارك التى خاضها ..

كما حوت العديد من الصور الانسانية لظروف واجهها فى ليالى الحصار .. وقائد الفالوجا الأميرالاى السيد طه أو (الضبع الأسود) كتب مذكراته أيضاً بعد انتهاء الحرب وعودته الى بيته متهماً .... بالخيانة واقترابه من شبح الاعدام بعد

التهيد لمحاكمته عسكرياً بتهمة انقاذ القوة المحاصرة لولا تدخل القدر لانقاذه فى الوقت المناسب لتفسح له الراحة الاجبارية.... اجترار الأحداث .

وقائد الكتيبة الأولى (القائمقام عزيز حيدر) كتب يوميات الكتيبة الأولى مشاة وهو مبعد فى منقباد عام ١٩٤٩ بعد أن أطاح وزير الحربية محمد حيدر باشا بقوة الفالوجا وشردها بين الوحدات والمعسكرات على طول المحافظات فكان نصيبه مكانا قصيا فى أحد المعسكرات فتفرغ لكتابة سجل الكتيبة ويومياتها ليكون ذكرى للأبناء والاحفاد.وغيرهم كتبوا رواياتهم بعد أن قامت حركة الجيش واعتبروا أنفسهم مسئولين عن ذكر تفاصيل هذه الفترة الحاسمة فى حياتهم وغلفوها بدروس للشباب كما فعل الصاغ وحيد رمضان عندما تولى مسئولية قيادة منظمة الشباب عام١٩٥٧.

وصفحات الكتاب تروى تفاصيل دقيقة عن يوميات الحرب والسياسة منذ بدء حرب فلسطين ١٩٤٨ وحتى قيام حركة الجيش فى يوليو ١٩٥٢ وتحوى أسماء الضباط والجنود وصف الضباط الذين شاركوا فى حملة الفالوجا ونشرات الترقيات الاستثنائية التى قررها الملك للضباط والجنود وصف الضباط البواسل تقديرا لبطولتهم والنياشين التى انعم بها عليهم خلال أيام الحصار بعد أن بلغه ماقاموا به من أعمال كانت مثاراً للفخر يستحقون عليها التكريم .

وتتضمن أيضاً أسماء الضباط الصغار ممن قاسوا عذاب الحصار فى الفالوجا وتجمعوا حول جمال عبد الناصر ليكون منهم حكاماً لمصر من خلال مجلس قيادة الثورة الذى تحمل المسئولية بعد٢٣ يوليو أو ضمن تنظيم الضباط الأحرار الذى شارك فى الحكم سنوات طويلة .

وتذكر أسماء الشهداء ممن قدموا أرواحهم فى سبيل بلدهم فماتوا أو جرحوا دفاعاً عن شرف بلدهم ضد اليهود برصاصات غادرة من أسلحة فاسدة أرسلها

لهم تجار الموت من مخلفات الجيش البريطانى بعد الحرب العالمية الثانية .. فكانت دماؤهم وقوداً للغضب والسخط على كل شىء فى مصر بعد عودة الهزيمة للبلاد .

ويبقى جمال عبد الناصر رمزاً شامخاً للمعركة حفر اسمه فى لوحة التاريخ الوطنى مهما اختلفت حوله الآراء .

كانت بدايته معركة حصار الفالوجا وانتهت باعتلاء سلطة البلاد .

وكان الكاكى .. هو العلامة لقياده هذه المرحلة من التاريخ .

واستأذنك لنقلب معاً الصفحات ..

فاروق فهمى

صورة المسرح

كان المسرح محموماً مثيراً للأعصاب .. تغلفه عواصف من الرياح المجنونة والصياح بالانتقام ..

كان الملك فاروق صاحب قرار دخول الجيش المصرى إلى ساحة الحرب يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ – دون عرضه على البرلمان – عندما أمر ـ بصفته القائد الأعلى للجيش ـ القوات المصرية بعبور الحدود المصرية الى فلسطين لتحريرها من العدوان الصهيونى .. وتبادل الملك يومها برقيات التهنئة مع ملوك ورؤساء الدول العربية بهذه المناسبة ودعوا فيها بالنصر للجيوش العربية الباسلة .

واستدعى الملك فاروق السفير البريطانى رونالد كامبل فى يوم ١٨ مايو وذكر له أن الاعتراف الأمريكى بدولة اسرائيل عقب اعلانها بدقيقة قلل لدرجة كبيرة أية فرصة لوقف القتال .. وأن الجيوش العربية تهاجم اليهود فى كل مكان وأنهم مصممون على مواصلة الحرب حتى آخر رجل فى القوات النظامية .

وعندما سأله السفير البريطانى رونالد كامبل عن الاحتمالات اذا دعا مجلس الأمن لوقف القتال وتوقيع عقوبة على المعتدى .

قال الملك إنه يعتقد أن مصر يمكنها أن تستمر لمدة ٨ شهور دون أن يتأثر اقتصادها .. واذا صدر قرار بحظر تصدير الأسلحة للمنطقة المشتعلة فان العرب لن يكون من مصلحتهم الاستمرار فى الحرب لأنهم سيكونون قد كسبوها .

كانت مصرملفوفة بنذر الحرب المقدسة وصيحات الانتقام من المغتصب الصهيونى للشرف العربى تدوى بالثأر وانقاذ الأخوة فى فلسطين من براثن العصابات الصهيونية التى تهاجم فى إرهابها العائلات العربية العزلاء من السلاح .. ولتذبح الأب أمام أولاده .. والأبن أمام أمه الثكلى .. ويلعب الإرهابيون الكوتشينه على بطون الحبالى من الأمهات ويبتدعون لعبة الرهان على البطون .. ولد أو بنت

.. ويحق للفائز فى اللعبة أن يبقر البطن ليعرف نوع المولود .

كانت محطة مصر نقطة تجمع قوات الجيش المتجه الى فلسطين حيث يقف القطارالحربى يزأر بصفارته الرفيعة يدعو الجنود لاتخاذ أماكنهم .. داخل العربات العتيقة .. بينما تقف الأمهات والزوجات على الرصيف تدعو لهم بالنصر ..

وفى العاشرة صباحاً يوم ١٢ مايو ١٩٤٨ أصدر الفريق محمد حيدر باشا القائد العام للجيش المصرى أوامره للقيادة بنقل القوات الى رفح المصرية لتتخذ أماكنها قبل الانطلاق لأرض فلسطين ..

وأصدر القائد العام قراراً آخر بتعيين اللواء أحمد على المواوى قائداً للحملة المصرية عقد على أثرها القائد اجتماعه الحاسم لقادة القوات قبيل عبور الحدود بأربع وعشرين ساعة لمراجعة الخطة النهائية فى انتظار ساعة الصفر ..

وفى يوم الجمعة ١٤ مايو غادر الأراضى الفلسطينية الجنرال السير آلان كوننجهام المندوب السامى البريطانى الاخير فى فلسطين بعد انتهاء الانتداب لبريطانى للأبد .

وبعد المغادرة بساعات .. وفى منتصف الليل .. وقبل بدء أجازة اليهود يوم السبت أعلن المجلس القومى اليهودى المجلس الصهيونى العام فى تل أبيب قيام دولة اسرائيل وتعيين دافيد بن جوريون رئيساً للحكومة المؤقتة وبعدها بدقيقة واحدة أعلنت الولايات المتحدة اعترافها بالدولة الجديدة ..

وبعدها بساعات انطلقت الجيوش العربية تعبر حدود بلادها الى الاراضى المحتلة تزأر بصيحات الحرب والانتقام وبدأت الحرب - رسمياً - على كل الجهات السورية واللبنانية والعراقية والأردنية والمصرية فى نفس اليوم ..

كانت الخطة العربية تقضى بأن يتقدم الجيش المصرى بسرعة على الطريق الساحلى إلى قرية رفح المصرية ثم يواصل تقدمه حتى قرية يافا فى فلسطين على

بعد ٢٠ كيلو متراً من تل أبيب .. بينما تكون الجيوش العربية الزاحفة شمالاً وشرقاً قد احتلت نقاطاً مماثلة لتلتقى الجيوش جميعاً حول " عاصمة " الدولة الجديدة فى تل أبيب " لتفرض الحصار المحتم لاجبارها على التسليم وطرد قواتها وتنصيب الحكومة الفلسطينية الشرعية التى تشكلت قبل قرار الحرب ..

ولم ينفذ أى من هذه الجيوش العربية الخطة الطموحة ماعدا جيش مصر .

لم يتقدم الجيش العراقى أكثر من ٥ كيلو مترات عند نقطة تسمى " كوكب الهوى "

ولم يستطع الجيش السورى أن يتقدم إلابضعة كيلو مترات حتى وصل الى بلدة اسمها " صفد " على الحدود واحتل مستعمرتين هما مشمار وشمارها لمدة يوم واحد ثم انسحب بعدها الى داخل حدوده ..

أما الجيش الأردنى .. فلم تصدر له الأوامر لعبور الحدود وانتظر مايسفر عنه الزحف العربى .

ولم يذكر شئ عن الجيش اللبنانى ..

وبقى الجيش المصرى يتحمل المسئولية بمفرده وينفذ الخطة المرسومة باقتدار فى الأيام الأولى للحرب ..

توغلت القوات المصرية بسرعة فى فلسطين مستخدمة الطريق الساحلى لتستولى على المستعمرات اليهودية مستعمرة تلو الأخرى .. " كفار ديروم " .. " بيرون اسحق " .. " كوكبة " .. " نجبا " .. ثم اقتحم نيتساليم قرب " أسدود " بعد معركة دامية أظهر فيها الجندى المصرى كل قوته وشجاعته .

واجتازت القوات المحاربة مدينة " أسدود " فى طريقها الى الشرق تساندها القوات المصرية المتطوعة بقيادة البكباشى أحمد عبد العزيز حتى سيطرت على القتال من الغرب الى الشرق .

وتحت وطأة الانتصارات المصرية انعقد مجلس الأمن وقرر وقف القتال واعلان الهدنة لمدة شهر اعتباراً من ٢٢ مايو .

ولم يقبل العرب القرار فصدر قرار آخر من هيئة الأمم المتحدة بعدها بأسبوع يحمل نفس المعنى اضطرت القوات العربية الى قبوله ..

وتم تعيين الكونت برنادوت وسيطاً بين العرب وإسرائيل كما قام ممثلون من السفارة البريطانية فى القاهرة بمقابلة الملك فاروق والحكومة المصرية لاقناعها بأن قبول قرار مجلس الأمن بوقف القتال هو لصالح فلسطين .. وقام ممثلون فى السفارة الأمريكية بنفس المهمة مع الحكومة المصرية .

وجاء الكونت برنادوت لمصر يوم ٣ يونيو حيث التقى بمحمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء والملك فاروق للتعرف على رأيهم فى مستقبل المنطقة والمعركة ..

واكتشف برنادوت كما سجل فى مذكراته أنه شعر بوجود تنافس وغيرة من فاروق تجاه الملك عبد الله ملك شرق الأردن على زعامة الأمة العربية كما لمس قوة جسور الكراهية بين الملكين

أما بالنسبة لسير المعركة فقد عبّر فاروق عن رفضه لوقف القتال وبيّن للكونت أنه رغم أن الموقف دقيق بالنسبة للقوات العربية إلا أن القوات الوحيدة التى يمكن أن يكون لها تأثير فى الموقف هى القوات المصرية ..

وأكد فاروق أنه تلقى تقارير أمنية تشير إلى أن اسرائيل طلبت الهدنة لتدعيم قواتها حتى يتسنى لها الحصول على كميات كبيرة من الأسلحة من الاتحاد السوفيتى لتحسين الموقف المتردى لقواتها .. وأكد فاروق " للوسيط " برنادوت أن الهدنه ليست فى صالح العرب ..

وتوقفت المعارك فى ١١ يونيو ١٩٤٨ بالنسبة للقوات المصرية الرسمية ولم تتوقف بالنسبة للقوات المتطوعة التى يقودها البكباشى أحمد عبد العزيز ..

أما " عبد الرحمن باشا عزام " أمين الجامعة العربية فكان يشعر بغضب شديد فى قبول الدول العربية لقرار الهدنة .. خاصة والعرب على شفا الانتصار . وهاجم أمين الجامعة الأمم المتحدة متهماً اياها بالانحياز الى جانب اسرائيل .. وأكد أنها ستستغل الهدنة لصالحها .

وتحقق زعم الأمين العام للجامعة العربية فاستولت اسرائيل على العديد من القرى والمناطق الحساسة أثناء الهدنة دون قتال مثل قرية عسلوج النقطة المؤثرة التى ادت الى قطع الاتصالات وخطوط المواصلات التى تربط الجيش المصرى فى القطاع الشرقى عن الجبهة المصرية مما دعا القيادة الى وضع خطة محكمة لاستردادها معتمدة على قوات المتطوعين من الاخوان المسلمين بعد أن كبدت العدو خسائر فادحة فى الأرواح .

كان الاخوان المسلمون يعتبرون حرب فلسطين حرباً دينية مقدسة يجوب دعاتها القرى والبلاد فى مصر قبل اعلان الحرب يدعون الناس للجهاد فى سبيل الله لإنقاذ أرض فلسطين المقدسة من العدوان اليهودى ..

ونجحت الدعوة الاخوانية فى قيام المظاهرات العنيفة فى المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية والاسماعيلية تطالب النقراشى باشا رئيس الوزراء بالتدخل العسكرى للقضاء على الدولة اليهودية ..

وسمحت الحكومة بتكوين فرق من المتطوعين المصريين وتولى ضباط من الجيش وتموينهم بالاسلحة الحربية ..

وسمحت القيادة المصرية للضباط بتقديم استقالاتهم من الجيش والانضمام فى فرق الفدائيين ليشكلوا فى النهاية جيشاً شعبياً يخوض الحرب ..

واختير الضابط محمود لبيب لتدريب القوات المتطوعة من الاخوان المسلمين ..

وسافرت أول فرقة الى فلسطين يوم ٢٥ أبريل ١٩٤٨ بقيادة البكباشى أحمد

عبد العزيز .. حيث بدأت عملياتها الحربية فى صحراء النقب ووصلت فى زحفها الى بيت لحم وأشرفت على القدس الاسرائيلية وكبدت القوات الاسرائيلية خسائر فادحة فى المعدات والأرواح ..

كما اختارت قوات الفدائيين المناطق الواقعة فى الجنوب عند غزة وخان يونس لتكون نقاط انطلاق الفدائيين المصريين حيث بدأوا الغارات القاتلة على مستوطنات النقب مستخدمين المدفعية الخفيفة والتدريب المكثف على العمليات الانتحارية فحقق قائد القوات المتطوعة هدفه فى دعم القوات النظامية فى تقدمها نحو الشرق وقطع الاتصالات بين تل أبيب والنقب ..

وبدأت عمليات الفدائيين المصريين قبل المعركة بأيام ..

فى يوم ١٠ مايو أغاروا على مستعمرة كفار ديروم شرقى الطريق الرئيسى بين خان يونس وغزة مباشرة .. وبعدها بيومين استولوا على قرى برير والحليقات وكوكبة العربية ..

وفى يوم ١٤ مايو استولت القوات المتطوعة على نقطة البوليس الهامة " عراق سويدان " ليسيطروا على طريق الشرق والغرب الرئيسى فى المجدل .. وقطع طريق الامداد اليهودى الى النقب عبر برير والحليفات ..

وتحقق للبكباشى أحمد عبد العزيز وقوات المتطوعين من الاخوان المسلمين عزل النقب عن باقى فلسطين حتى أعلنت الهدنة الأولى .

وخلال فترة الهدنة الأولى نسف الاسرائيليون مشروع برنادوت عندما شنوا هجوماً مكثفاً على كافة الجهات قبل انتهاء الهدنة فى يوم ٩ يوليو وسيطروا خلالها على العديد من النقاط الحساسة التى أثرت على مجريات الحرب بعد أن نفذت خطتها الهجومية " دانى " والتى استهدفت ازالة الضغط العربى على القدس والاستيلاء على خط اللد والرملة واللطرون ورام الله .. حيث تم تأمين السهل

الساحلى والسيطرة على مطار اللد ..

وظهر من خلال هذا التطور العسكرى أثناء الهدنة الأولى أسماء .. موشيه ديان وايجال آلون وايجال يادين واسحق رابين كقادة يقودون المعارك ضد القوات العربية حيث استطاعوا الاستيلاء على لواء كبريات الرملة دون قتال وأعقب سقوط المدينة نزوح جماعى للسكان العرب إلى مناطق أخرى تمثل ضغطاً على القوات الأردنية .

وكان ضياع اللد والرملة أكبر هزيمة للجيش الأردنى بقيادة الجنرال البريطانى جلوب عندما فشل فى وضع قوات كافية لحماية المدينتين واعتمد على الأهالى مما أدى الى سيطرة القوات اليهودية على هذه المنطقة أعقبها نجاحها فى الاستيلاء على مطار اللد فتحقق لها السيطرة الكاملة على السهل الساحلى لمنطقة تل أبيب ..

وكان الاستيلاء على مدينة القدس من جانب القوات اليهودية هدفاً استراتيجياً لنسف مشروع برنادوت للسلام .. ولكنها لم تنجح فى هذا الهدف حيث لم تستطع هذه القوات اختراق دفاعات بوابة صهيون ..

أما أوضاع القوات المصرية خلال فترة الهدنة فكانت مستقرة بعد أن حافظت على تفوق الويتها الأربعة ..

- لواء غزة .. ويحتل القطاع الساحلى الممتد من الحدود الى المجدل .
- لواء المجدل .. وكان مسئولاً عن منطقة أسدود .
- لواء الفالوجا .. وكان يحتل المحور الممتد من المجدل عبر بيت جبرين الى الخليل .
- لواء المتطوعين .. وكان يسيطر على بئر سبع والمنطقة الواقعة شمالاً الى الخليل وبيت لحم ..

وكان لدى القوات المصرية والاسرائيلية خططاً لاستئناف الهجوم فور انتهاء الهدنة خلال ليلة ٩ ، ١٠ يوليو .

وكانت الخطة المصرية تقضى بتوسيع الممر الممتد من الشرق الى الغرب لمنع الامدادات العسكرية عن القوات الاسرائيلية فى المنطقة ..

أما قوات العدو فقد حاولت ايقاف التقدم المصرى والاستيلاء على نقطة بوليس عراق سويدان عند تقاطع الطرق ..

وشنت القوات المصرية هجومها المكثف قبل انتهاء الهدنة بـ ٣٦ ساعة محققة المفاجأة حيث استولت على موقع كوكبة فى لواء النقب ..

وانسحبت القوات الاسرائيلية الى الحليقات وطاردتهم المدفعية المصرية حتى أجبرتهم على الانسحاب منها .

كما استولوا على نقطة التل ١١٣ وهى ربوة تسيطر على نقطة التقاء طرق النقب ..

وفى مساء ٩ يوليو شنت القوات المصرية هجوماً خاطفاً على مستعمرة نجبا لاسرائيلية واكتسحت قواتها .. واشترك فى معاركها ثلاث كتائب مشاة وكتيبة مدرعات ولواء مدرع بالاضافة الى تغطية جوية ليؤكدوا تفوقهم العسكرى فى الأراضى الفلسطينية ..

واضطرت اسرائيل لطلب الهدنة الثانية .. لتخفيف حدة الهزائم التى منيت بها قواتها على يد القوات المصرية الباسلة

وأصدر مجلس الأمن قراره بوقف القتال .. وهدد بتوقيع أقصى العقوبات فى حالة عدم التنفيذ ..

وكان الهدف انقاذ القوات الصهيونية واسرائيل من الهزيمة المحققة والابادة ..

ووافقت الدول العربية على قرار الهدنة ليبدأ سريانه فى السابعة مساء يوم ١٨ يوليو ..

وتغيرت موازين القوى خلال الهدنة الثانية .. عندما نجحت القوات الاسرائيلية

فى احتلال المزيد من الأراضى .. وقام لواء " بفتاح " الاسـرائيلى بالهجوم على " الفالوجا " .. وحاول الاستيلاء على قرية عراق المنشية شرق .. ولكن الهجومين فشلا فى تحقيق هدفهما ..

ووقع الاضطراب داخل القوات العربية .. وتحولت الجيوش الى عناصر متنافرة .. ليس بينها تنسيق . وتسودها الفوضى .. ويتبادل قوادها الاتهامات ..

كان السوريون يشعرون بمرارة لعدم تلقيهم مساعدات من اللبنانيين أو العراقيين ..

وأصبحت العلاقات بين القاهرة وعمان باردة بشكل خاص ..

فقد كان الملك عبد الله يؤيد مشروع الكونت برنادوت لتمتد الهدنة وتصبح صلحاً ..

وكان هذا الرأى مرفوضاً من جانب الملك فاروق والحكومة المصرية لأنه كشف الغرض المستتر للملك الأردنى فى أن يكون ملكاً على المنطقة التى حددها مشروع برنادوت وبعد عقد معاهدة صلح مع اسرائيل كشفتها لقاءاته المتعددة مع القيادات الاسرائيلية .

وخلال الهدنة الثانية لقى الكونت برنادوت مصرعه كما ذكر من قبل .. وفى نفس الفترة وقع حصار الفالوجا .



الصورة الشهيرة التى تجمع بين عبدالناصر بطل الفالوجا وزملائه الضباط والتى طيرتها وكالات العالم لتجسيد بطولة القوات الصامدة دون أن تعرف أن الضابط الأسمر سيغير وجه المنطقة بعدها بسنوات .

الفصل الأول

نقطة البداية ..

وصف كُتّاب التاريخ جمال عبد الناصر بأنه ولد ليكون زعيماً واعتبروا شريط حياته أمراً غير عادى تفجرت فيه كل نواحى الزعامة منذ نعومة أظفاره وحتى تقلد مسئوليته كبطل حفر اسمه فى لوحة التاريخ ..

كان الأب – عبد الناصر حسين – موظفاً عادياً من الطبقة الفقيرة لايمتلك إلا مرتبه ووظيفة متواضعه فى مصلحة البريد ..

وكان الابن جمال يحتل الترتيب الأول فى طابور طويل من الأبناء الأشقاء وغير الأشقاء انجبهم الأب على طول مراحل حياته من زيجات متعددة فرضتها عليه ظروف تجواله وتنقله المستمر بين الأقاليم

وفى حى باكوس بالاسكندرية كان ميلاد " جمال " فى ١٥ يناير ١٩١٨ .. واختارت الدولة بعد الثورة – هذا اليوم – عيداً للأطفال تكريماً للزعيم حتى مات فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ – فأُلْغى عيد الطفولة لانه يُذكّر... بالزعيم ..

وفى حى السكاكينى بالظاهر كانت التربية والنشأة .. رباه عمه الحاج خليل عبد الناصر الموظف البسيط فى القصور الملكية حتى حصل على التوجيهية من مدرسة الظاهر الثانوية عام ١٩٣٥ وتخرج فى الكلية الحربية بعدها بعامين ..

وفى شبابه المدرسى قاد المظاهرات وتعرض للموت برصاص الشرطة ودخل السجن وانضم لشباب العديد من الأحزاب والتيارات السياسية وكون لنفسه فكراً خاصاً نابعاً من أرض واقع بلده وخارجاً عما رآه فى صالونات الأحزاب وكفر بمعتقدات المتحزبين من السياسيين التجار والمرتزقة من رجال السياسة ..

وفى نفس العام الذى انهى فيه الدراسة الثانوية ١٩٣٥ كون لنفسه أول تنظيم سياسى فى حياته أطلق عليه اسم جماعة النهضة واختار أعضاءه من أقرانه

التلاميذ بطريقة سرية رغم أن نشاطها كان ترفيهياً فى البداية ..

ويذكر جمال عبد الناصر فى كتابه " فلسفة الثـورة " عـام ١٩٥٤ ان معركة " كوبرى عباس " التى قام بها طلبة جامعة فؤاد الأول وطلبة المدارس والعديد من أفراد الشعب ضد السلطات الحكومية الفاسدة – وقتها – مما اضطر القوات الحكومية إلى فتح الكوبرى ليتساقط الشباب الثائر فى ارض النيل فى أبشع – مجزرة – بداية لاحترافه السياسة وقال عنها بالحرف ..

" فى تلك الأيام قدت مظاهرة فى مدرسة النهضة وصرخت من أعماقى بطلب الأستقلال التام وصرخ ورائى كثيرون ولكن صراخنا ضاع هباء وبددته الرياح وكانت أصداءً واهنة لاتحرك الجبال ولاتحطم الصخور ..

وكان العمل الإيجابى فى رأيى أن يجتمع زعماء مصر على كلمة واحدة – يومها – وطافت جموعنا الهاتفة الثائرة ببيوتهم واحداً واحداً تطلب اليهم باسم شباب مصر أن يجتمعوا على كلمة واحدة .. ولكن اتحادهم على كلمة واحدة كان فجيعة لإيمانى .. فالكلمة الواحدة التى اجتمعوا عليها كانت معاهدة ١٩٣٦ التى عقدوها مع الانجليز " .

فى عام ١٩٣٥ حصل جمال عبد الناصر على البكالوريا .. واختار الكلية الحربية طريقاً ليحقق لنفسه زعامة أخرى ولكنه رسب فى الكشف الطبى فاتجه الى [illegible] البوليس وكان مديرها عبد السلام باشا الشاذلى ولكن طلبه رفض لظروفه الفقيرة فاتجه الى الكلية الحربية ورفض طلبه أيضاً فالتحق بكلية الحقوق بناء على نصيحة صديقه المستشار حسين [illegible] الذى واصل دراسته القانونية حتى تخرج [illegible] .. ولكن الطالب جمال لم يقض بالكلية بها سوى عام واحد عاد بعدها ليتقدم مرة ثانية ليدخل بها الكلية الحربية حتى نجح فى مسعاه وتخرج ضابطاً عام [illegible] .

وتنقل الملازم جمال بين وحدات الجيش ومعسكراته فى مختلف المناطق يحاول أن يلفت النظر ويحصل على الدراسات والدورات العسكرية حتى عين مدرساً بالكلية الحربية لتدريس الشئون الادارية والتنظيم وهو فى رتبة اليوزباشى (نقيب) ثم حصل على دورة " أركان حرب " عام ١٩٤٨ .

وتزوج الصاغ جمال عام ١٩٤٤ وبعد ٤ سنوات اشترك فى حرب فلسطين وكانت زوجته حاملاً فى أحد أبنائه الذى ولد بعد عودته من حصار الفالوجا عام ١٩٤٩ وليكون عائلة كبيرة قوامها ٧ أفراد منهم ثلاثة أولاد وبنتان . .

اشترك جمال عبد الناصر فى الحرب مثله مثل باقى الضباط الشبان فى الحرب كاركان حرب لكتيبته السادسة مشاه التى وقعت تحت الحصار ١٣٠ يوماً ..

ويذكر جمال عبد الناصر فى مذكراته عن حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أن الأوامر صدرت له بالالتحاق بالكتيبة السادسة مشاة وهو برتبة رائد (صاغ) و كان يتعجل الزمن كى يستطيع اللحاق بكتيبته .

و انه غادر القاهرة يوم ١٦ مايو متوجهاً الى ميدان القتال حيث التحق بكتيبته التى اجتازت الحدود فى اليوم السابق وخاضت معركة عنيفة ضد العدو عند مستعمرة (الدنجور) وواصلت بعدها زحفها كى تدخل المجدل باقى القوات المصرية يوم ١٦ مايو .

وقد ابدى جمال عبد الناصر فى مذكراته [illegible]

[illegible] ميدان القتال وجعله يوقن بأن الحرب [illegible]

قوات تحشد ولا استعدادات تجرى بشأن [illegible]

معلومات عن العدو تعرف .

فضلاً عن المبالغات التى كانت تروى [illegible]

وهو يتولى منصب أركان حرب الكتيبة [illegible]

العامة للقوات المصرية فى فلسطين من حيرة وعجز .

يقول جمال عبد الناصر فى مذكراته ..

"بمجرد استيلاء القوات المصرية على " أسدود " فى المرحلة الأولى من ال أصبح عامل تأمين قواتنا فى المجدل وأسدود حيوياً ، وبرز احتمال التقد المجدل شرقاً فى اتجاه بيت جبرين والقدس للاتصال بالجيش الأردنى .

وكان من الضرورى الاستيلاء على مستعمرة (نجبا) والتى تقع بالقرب مدينة المجدل وكان وقوعها على جانب طريق المجدل - بيت جبرين يهدد قوات " المجدل " و " أسدود " وكانت المستعمرة كبيرة المساحة كثيرة المبانى التحصين فضلاً عن تحكمها فى طرق الاقتراب المؤدية اليها .

وفى أول يونيو ١٩٤٨ صدرت الأوامر للكتيبة السادسة مشاة المتمركز المجدل بالهجوم على مستعمرة نجبا ، وألحقت بها كتيبة دبابات خفيفة (لوكس وفصيلة من الفدائيين العرب وبطاريتا مدفعية ميدان وبطارية مدفعية مض للطائرات .

وفى صباح يوم ٢ يونيو وتحت ستر نيران المدفعية نجحت بعض وح الكتيبة السادسة فى اقتحام المستعمرة ولكنها لم تتمكن من تعزيز نجاحها أجبرها على الانسحاب تحت ستر نيران المدفعية .

وعادت الكتيبة السادسة مشاة إلى مواقعها بالمجدل فى الساعة الث والنصف مساءً " .

وسجل فى مذكراته عن حرب فلسطين وصفاً لمعركة نجبا أوضح فيه ذكر ومشاعره المليئة بالمسات الإنسانية خاصة عندما أصيب فى أثنائها برصاصة العدو وساده الاعتقاد وقتئذ بأنها النهاية .

قال الصاغ أ. ح جمال عبد الناصر أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة ..

بدأت معركة نجبا والتقيت بأركان حرب اللواء وتحركت معه فى حمالة مدرعة وفى أثناء تحركنا سمعنا ضرباً قريباً منا ، واقترح أن ننزل إلى حقل ذرة بالحمالة المدرعة لمطاردة الضاربين وهبطت الحمالة وتجولنا فى حقل الذرة وإذا السكون يسود وعدنا إلى الطريق .

وفى نفس الثانية التى انكشف فيها سطح الحمالة وهى ترتفع الى الطريق انطلقت المدافع الصامتة من حقل الذرة .

وأحسست بشعور غريب فى صدرى ، شىء ما صَدَمَهُ صدمة خفيفة والتفت فوجدت صدرى كله غارقاً بالدماء وأدركت أننى أصبت وأخرجت منديلى من جيبى أحاول أن أوقف النزيف وروحى كلها يملؤها شعور غريب ، لم أكن خائفاً ولا حزيناً ولا نادماً كان كيانى كله يسأل سؤالاً واحداً : أهى النهاية ؟

ولم أجزع لهذا السؤال ، ولست أذكر لماذا ذكرت لأول مرة منذ جئت إلى فلسطين ابنتى هدى ومنى وذكرت بيتى وأسرتى .. كيف سيكون وقع النبأ عليهم ؟ وذكرت جنودى أيضاً .. كيف تسير المعركة من غيرى ؟ ماذا سيقول كل منهم عندما يسمع الخبر ؟

وطلبت سيجارة من أركان حرب اللواء وأمسكت السيجارة بيدى واليد الأخرى تحاول أن توقف سيل الدم المتدفق من صدرى وجذبت نفساً طويلاً وكانت الحمالة تجرى بسرعة إلى مستشفى المجدل .

ونظرت الى الطبيب الذى فحصنى أستفسر عما حدث لى .. وكانت إصابتى أغرب إصابة شهدها الطبيب المعالج .

كان تفسيره للإصابة أن الطلقة اصطدمت بجدار الحمالة وطار الرصاص من ناحية واصطدمت الشظايا بجسمى وسألت نفسى : ماذا كان يحدث لو أن الأمر جرى على العكس ؟

وكان مستشفى المجدل خالياً إلا منى .. وكنت النزيل الوحيد وطلبت طعاماً وكانت الإجابة أن لا طعام بالمستشفى .

واستلقيت على سرير المستشفى ولكن عقلى وتفكيرى كانا فى المواقع مع كتيبتنا .. وكان هناك شىء يضغط على ضميرى .. لقد كنت أركز العمل كله فى شىء يضغط على ضميرى .. لقد كنت أركز العمل كله فى يدى كأركان حرب الكتيبة فكيف تجرى الأمور الآن ؟

وهتف بى خاطر : إن جرحك غير نافذ فما معنى بقائك فى المستشفى ؟

وهممت أن أقوم ولكنى لم أستطع وعزمت بينى وبين نفسى أن أستسلم للراحة ثم أهب بعدها لكى ألحق بكتيبتى فى مواقعها التى تركتها فيها ولكنى لم أستطع أن أستسلم للراحة ، فقد امتلأ المستشفى بالجرحى فجأة بعد أن كنت نزيله الوحيد وأدركت أن هذه هى نتائج المعركة الدائرة حول نجبا ، وتركت فراشى وأسرعت ملهوفاً أطوف بعنابر المستشفى وأشهد بنفسى الحالة السيئة التى وصل إليها جنودنا .

وأحسست من قلبى أننى أكره الحرب .. وليست هذه الحرب التى كنا نخوضها بالذات ولكن فكرة الحرب نفسها .

أحسست أن الإنسانية لاتستحق شرف الحياة إذا لم تعمل بقلبها من أجل السلام ، ووجدتنى أقول لنفسى ماهذا ؟ إننا نسفك دم إنسانيتنا بهذه الحياة التى نحياها .

فى ميدان القتال أكون جالساً مع صديق ونفترق .. وبعد دقائق يدق التليفون وأرفع السماعة ويقول لى أحدهم .. إن فلاناً قد مزقته قنبلة ولا أتأثر فلا ينبغى لجندى أن يتأثر فى ميدان قتال وإنما على أن أقول ببساطة .. حسناً بلغوا جماعة الدفن .

لقد عاهدت نفسى أننى لو كنت مسئولاً فى يوم من الأيام فى بلدى فسوف أفكر ألف مرة قبل أن أدفع بجنودنا الى حرب .. لن أدفعهم إلا حيث لا يكون مفر .. حين لا تكون هناك وسيلة أخرى غيرها .. حين يكون شرف الوطن مهدداً وكيانه فى مهب العواصف وما من شىء ينقذه إلا نيران المعركة .

واستيقظت فى الصباح على صوت صديق من رئاسة القوات يقول لى أأنت هنا ؟

قلت نعم وأى غرابة فى ذلك .

قال لقد كتبوا اسمك أمس فى قائمة الخسائر (القتلى)

فقلت له : هل تستطيع أن تخبر القيادة أنى حى لم أمت حتى لا تبلغ أسرتى إشارة إستشهادى ؟

ولم تمض دقائق حتى دخل قائد كتيبتى ، وقبل أن يسألنى عما جرى كنت أحاول أن أطمئن منه عن حال كتيبتنا ، ولم يكن الذى سمعته منه يدعو للاطمئنان وقفزت أرتدى ملابسى وأنا أقول له : هيا بنا إلى هناك .

وكان أول مافعلته حين دخلت مركز الرئاسة أن اتصلت بالقوة لأعرف موقفها .. كان حالها أخطر مما تصوره خيالنا .

كان العدو يحاصرها من ثلاث جهات وكان لابد من خطة مدروسة حتى آخر التفاصيل حتى نستطيع إنقاذها من هذا الوضع الذى تركت فيه وكان لابد من معونة من المدفعية .

وبعد عدة عمليات اشتركنا فيها صدر الينا أعقل أمر أصدرته القيادة العامة وهو : تترك الكتيبة السادسة مواقعها للكتيبة التاسعة وتذهب هى إلى الراحة . وكان جنودنا وضباطنا فى أشد الحاجة لهذا الأمر .

وفرشت أمتعتى واستلقيت على ظهرى ونجوم السماء تطل على من حيث لا

سقف فوقى ولكن استمتاعى بنجوم السماء لم يدم طويلاً فبعد خمس دقائق جاءنى أحد الجنود ومعه إشارة تطلب منا أن نبعث إحدى السرايا لتساعد فى أسدود .

وإستيقظت فى الصباح على إشارة ثانية تطلب سرية أخرى لتعاون الكتيبة التاسعة . ومع أنى أطعت الأوامر وبعثت بالسريتين المطلوبتين فإن سخطى لم يكن له حدود . وبلغ سخطى مداه عندما طلبت منى سرية ثالثة عندما بدأت القيادة المعركة ضد مستعمرة (بيرون إسحاق)

وعلى الرغم من أن القائد العام ومدير العمليات كانا يشرفان على عملية بيرون إسحاق فإنها جرت كسابقاتها من المعارك .. مشاة بلا دروع أمام مواقع محصنة . واستطاع مشاتنا الأبطال أن يقتحموا المستعمرة واستمرت الحرب فيها من بيت إلى بيت ولكن القائد العام كان قد نسى اعتبارين هامين :

الأول : أنه يترك طريق الإمداد وراء بيرون إسحاق مفتوحاً فبدأت النجدات تتدفق على المستعمرة .

الثانى : أن الشمس تغيب آخر النهار ويهبط الليل . وهكذا تدفقت النجدات وأصبح المحاربون داخل أسوار المستعمرة كأنهم داخل مصيدة وبدأوا يتساقطون واحداً بعد الآخر داخل أسوارها .

ولم تكن معركة نجبا هى البداية بقدر ماكانت كشفاً لظروف الحرب التى قادتها القوات المصرية فى فلسطين " .

الفصل الثانى

حرب بدون استعداد

كان دخول الحرب فى فلسطين بدون سابق انذار أو استعداد،ولم تكن الحالة الدولية تسمح بقيام هذه الحرب وكانت كتائب الجيش مفتقرة إلى أشياء كثيرة .. كالحملة والتسليح والخطط والمؤن وماشابه ذلك مما اضطر القادة للاستعانة بسيارات شركة أهلية لنقل الجنود إلى ميدان القتال .

ولن نخوض فى سير المعارك التى خاضها الجيش المصرى فى الأرض الفلسطينية بأثرها .. ولكن سنقصر بحثنا على الظروف التى ادت إلى الحصار ووقوع ثلث الجيش فى الشباك ..

كانت الكتيبة الأولى مشاة يقودها القائمقام السيد طه .. واتخذت مواقعها فى الفالوجا .

والكتيبة الثانية مشاة بقيادة القائمقام أحمد توفيق واتخذت مواقعها فى منطقة عراق سويدان ..

والكتيبة السادسة مشاة بقيادة الاميرالاى حسين كامل واتخذت مواقعها فى عراق المنشية ..

وكان قوام الكتائب الثلاث ٤٠٠٠ جندى وضابط وكميات ضخمة من الآليات والمدفعية ... وضعت جميعاً تحت قيادة اللواء الرابع بقيادة الاميرالاى خالد ثابت بعد نقل الاميرالاى محمد نجيب الى القاهرة لخلافه مع قائد الحملة اللواء أحمد على المواوى حول تكتيك سير المعارك التى منى الجيش المصرى فيها بهزائم متكررة .

وكانت الكتائب الثلاث تمثل القوة المصرية التى وقعت تحت الحصار ..

وكانت التعليمات الصادرة للواء الرابع مشاة هى اجتياح الأراضى الفلسطينية وتحريرها من العصابات الصهيونية .. وكانت هذه التعليمات تتصدر كل الأوامر التى توجه كل يوم من القيادة لقادة الفرق والكتائب حتى لاينساها الجنود ..

وكانت التعليمات الصادرة لهذا اللواء تقضى بمنع تموين المستعمرات الواقعة صوب خط المجدل - الجليل وقطع خطوط المواصلات عن القوات الرئيسية شمال هذا الخط .. حتى تقل المؤن ويعلن المعتدون الاستسلام ..

وكان تصور القيادة العسكرية المصرية أن السيطرة على خط المجدل - الجليل وقطع الامدادات عن المستعمرات الواقعة جنوبه .. سوف يكون مثل خط " ماجينو " الفرنسى الذى أقامه الجيش الفرنسى ضد الألمان لمنع تقدمهم الى باريس إبان لحرب العالمية الثانية .. والفرق شاسع فلم يكن هناك احتياطى للكتائب التى صدرت لها التعليمات بالأختراق .

وكانت النتيجة عند تنفيذ المهام .. وجود ثغرات غير مؤمنة بالعتاد أو النيران الكافية استطاع العدو أن ينفذ منها فى المنطقة بين عراق سويدان والمجدل .. وعندما فكرت القيادة فى احتلال تقاطع الطريق بجزء من الكتيبة التاسعة مشاة لم تصمد قوتها أمام قوات العدو .

ووقعت الثغرة ..... والمأساة فى يوم واحد ..

فى الساعة الخامسة مساء يوم الأحد ١٨ من يوليو ١٩٤٨ توقفت الجيوش المتحاربة فى فلسطين عن إطلاق النار استجابة للقرار الصادر من مجلس الأمن ، وبدأت الهدنة الثانية دون تحديد موعد لانتهائها ..

وحرصت اسرائيل فى أثناء الهدنة الثانية على تدعيم قوتها فى البر والبحر والجو بجلب كميات ضخمة من الأسلحة والمعدات بطرق سرية من مختلف الدول

الأوروبية إحضار عدة آلاف من المتطوعين المدربين جيداً على حمل السلاح من اليهود وغير اليهود من مختلف أرجاء العالم بطريق الجو ، مما حقق لاسرائيل تفوقاً عسكرياً كبيراً على الجيوش العربية فى فلسطين و نتيجة لذلك انتقلت المبادأة الى اسرائيل بينما ظلت الجيوش العربية جامدة ودون حراك فى أماكنها .

وفى نفس اليوم صدرت نشرة للترقيات الاستثنائية لبعض ضباط الكتائب الثلاثة ولم تكن أخبار الحصار قد لاحت فى الأفق .. أصدرها القائد العام الفريق حيدر باشا بتوجيهات من الملك ليزيد من حماس الضباط على القتال الذى لم يحتدم والبطولات التى لم تتحقق .. كان غرضها الظاهرى شحن نفوسهم بالدعم المعنوى المطلوب والواقعى إذاعتها فى العالم وكأن ضباط مصر قد حققوا المستحيل .

وقد صدرت النشرة تحمل رقم ٨ وتقضى بترقية كل من اليوزباشى أ. ح زكريا عبد المجيد محيى الدين إلى رتبة الصاغ (رائد) والملازمين الأوائل حامد مهاب ومحمد عيسى الملاح إلى رتبة اليوزباشى (نقيب) والملازمين الثوانى ابراهيم بغدادى وحسن صبرى اسماعيل وسلامة حسن ومحمد شكرى إلى رتبة الملازم أول .. وكانوا من الكتيبة الأولى مشاة ..

وذكرت النشرة ان الترقيات تمت تقديراً لبطولة الضباط واستبسالهم ..

وفى نفس اليوم حاصر العدو جيب الفالوجا من جميع الجهات كما هاجم بلدة عراق المنشية هجوماً عنيفاً وتمكن من الضغط على مواقع المتطوعين السودانيين المتمركزين فى شرقى الفالوجا مما اضطرهم للهروب تاركين مواقعهم مما ساعد القوات المعادية على التسلل الى داخل البلدة إلا أن القوات المصرية هاجمت هذه القوات المتسللة بحمالات البرن وتم حصارها وابادتها بالكامل ..

وهاجم العدو البلدة ثلاث مرات خلال الليل محاولاً احتلالها ومستخدماً كل

أنواع الأسلحة الا أن القوات المصرية صدت هذا الهجوم وأنزلت به خسائر فادحة في الأرواح ..

أما في عراق المنشية فقد نجحت القوات المصرية أيضاً في صد هجوم ليلي عنيف في نفس الليلة من الجهة الشمالية والشمالية الغربية وأنزلت بالعدو خسائر فادحة في الأرواح والعتاد ..

ولم يستطع العدو البقاء طويلاً في البلدتين (الفالوجا و عراق المنشية) فانسحب مع تباشير الصباح ..

ومع كل انسحاب كانت تصدر نشرة ترقيات استثنائية للضباط ..

ففي يوم ٢٩ / ٧ /١٩٤٨ صدرت نشرة ترقيات للعديد من الضباط تحمل رقم ٩ وتقضي بترقية اليوزباشي جلال ندا الى رتبة الصاغ .. والملازم أول محمد ناجي داود ومحمد أحمد البلتاجي وحسني عبد النبي الى رتبة اليوزباشي .. والملازم ثان البرت كنعان وأحمد شريف عبد المجيد ومحمد لبيب سليمان ومحمد أمين فريد الى رتبة الملازم أول ..

وبعدها بيومين صدرت نشرة أخرى بدون رقم بنقل الاميرالاي أ. ح محمد نجيب قائد اللواء الرابع مشاة الى مصر .. وليخلفه الاميرالاي فؤاد ثابت قائداً للواء ..

وكان السبب في النقل الخلاف بين قائد الحملة اللواء أحمد علي المواوي وقائد اللواء محمد نجيب على أسلوب ادارة العمليات الحربية بعد الهزائم الساحقة التي منيت بها القوات المصرية ..

وبعدها بيوم واحد ٣٠ / ٧ صدرت النشرة العسكرية (١٠) في ١/ ٨/ ١٩٤٨ بالحاق ٨ ملازمين ثوان من ضمن دفعة ٤٨ لتعزيز الكتيبة الأولى مشاة – في قطاع الفالوجا من بينهم شمس بدران (وزير الحربية فيما بعد) ولم

تؤثر هذه الترقيات فى المؤقف شيئاً ..

ولم يحترم العدو اتفاقية الهدنة الثانية كعادته .. فزاد فى تدعيم قواته وتعزيزها بالأسلحة الحديثة ليحقق التفوق العددى والتسليحى وليمارس هوايته فى خرق الاتفاقية الدولية بإيقاف القتال بشن الهجوم المستمر على البلدان العربية ..

ففى ٩/ ٨ / ١٩٤٨ هاجم بلدة مجالس العربية واحتلها .. ونسف ماكينة المياة ببلدة أبو جابر ..

وفى نفس اليوم صدرت النشرة رقم ١١ بترقية الملازم أول مصطفى كمال عثمان الى رتبة يوزباشى والملازم أحمد تيسير إلى ملازم أول كترقية خاصة والصاغ على حسن طرفة الى رتبة بكباشى واليوزباشى محمود صبرى إلى رتبة صاغ والملازم أول محمود كشك إلى رتبة يوزباشى وذلك تقديراً لبطولتهم ..

وفى ١٤ / ٨ / ١٩٤٨ سقطت طائرة للعدو بخربة المحجر .. وتم أسر طياريها الاثنين وتم التحقيق معهما وتبين أن أحدهما من يهود فلسطين المقيمين فى أمريكا .. والثانى انجليزى من جنوب أفريقيا .. والاثنان كانا من ضباط الصف بسلاح الطيران البريطانى ..

وبدأت لعبة اصطياد قوافل التموين المارة بين البلدين والقرى الفلسطينية التى تحمل المؤن والذخائر للقوات المتحاربة .. وتسلسل المعارك بين القوات المصرية والعدو..

فى ١٩ / ٨ / ١٩٤٨ أمر اللواء السيد طه قائد القوات المتمركزة فى الفالوجا الملازم أول حسن التهامى وقواته بالمرابطة على الطريق عند خربة الأمير الا أن المصفحات اليهودية اكتشفت ملجأه وحاصرته ولم تنقذه الا أن دورية مقاتلة تضم ٣ عربات مدرعة وجماعتين حمالات بقيادة اليوزباشى محمد عيسى الملاح حيث تمكنت من فك حصاره وأسر لورى تموين يهودى وفجرت الألغام فى باقى سيارات

القول ..

وفى نفس الليلة هاجم العدو بلدة " دير أتان " .. ولكن القوات المدافعة صدت الهجوم ..

وعند نقطة الكوبرى - عراق المنشية صمدت القوات المصرية للهجوم النهارى الشاسع الذى شنه العدو كنوع من الاستعراض العسكرى .. بعد أن دكته بالمدافع الهاون وقتاً طويلاً أسفر عن استشهاد قائدها الملازم ثان يسرى راغب فهمى ..

ودفع قائد الكتيبة بسرية أخرى بقيادة اليوزباشى محمود كشك لإنقاذ الموقف فاحتلت النقطة الحساسة وكانت " تبة " تتحكم فى الكوبرى المار بعرض الطريق الأسفلت من الفالوجا الى عراق المنشية ..

وكانت مفاجأة للعدو حيث جهز قواته لمعركة أخرى .. تدعمها قوات المشاة والدبابات .. عند عراق المنشية حيث استطاع أن يخترق بدباباته الخمس نطاق الأسلاك الشائكة والتوغل فى أرضها حتى " المدرسة " تتبعه المشاه .. ليحرز أول انتصار له بعد ظهور الدبابات كسلاح جديد فى المعركة ..

وتصدت القوات السودانية الملحقة بالكتيبة السادسة مشاة للهجوم المكثف ونجحت فى إبادة جميع أفراد العدو المتقدمين ..

كما قامت المدفعية المضادة للدبابات تساعدها مدفعية ١٨ رطلاً من الفالوجا بعملها على خير قيام فعطلت أربع دبابات من الخمس التى اخترقت الخط الدفاعى

كما قام المدافعون من الكتيبة السادسة بواجبهم فأوقفت تقدم قوات العدو ولكنه لم ينسحب من البلدة ..

وعاود العدو هجومه لليوم الثانى بشراسة .. ولكن القوات المصرية ردت الهجوم

واستعان العدو بالطيران ليحسم المعركة لصالحه عندما أغارت ثلاث طائرات

حديثة على الفالوجا وألقت قنابلها على المواطنين العزل والمواقع العسكرية فأحدثت افدح الخسائر في الأرواح والمباني والأهالي ..

ومع بداية شهر سبتمبر ١٩٤٨ بدأ الإعداد للهجوم العام الاسرائيلي على الجبهة المصرية لإحراز نصر عسكرى يساعد اسرائيل سياسياً عند عرض القضية على مجلس الأمن .

وكان الوضع السيىء على الجبهة المصرية من الناحية الاستراتيجية يتيح الفرصة لاسرائيل لتحقيق هدفها وتوجيه ضربتها فقد كانت الدفاعات المصرية تمتد في جنوب فلسطين لمسافة تزيد على ٤٠٠ كم وتتألف من ثلاثة خطوط طويلة ومكشوفة مما أدى إلى ضعف تحصيناتها وقلة عمقها وتعذر تكوين احتياطي لدفعه الى المواقع المهددة ..

وكان أولها الطريق الساحلي من رفح جنوباً إلى أسدود شمالاً ماراً ببلدتي غزة والمجدل ..

وثانيها الطريق الداخلي من العوجة جنوباً إلى بيت لحم شمالاً ماراً ببلدتي بئر السبع والخليل ..

أما الطريق الثالث فهو الطريق العرضي الذى يربط بين الطريقين الطوليين الآخرين ويصل مابين المجدل غرباً وبلدة الخليل شرقاً ماراً بسلسلة من المواقع من الغرب إلى الشرق وهي عراق سويدان والفالوجا وعراق المنشية وبيت جبرين (وهذا مايهمنا في هذه الدراسة) ..

ولتحقيق الأهداف الاسرائيلية المطلوبة وضعت قيادتها العسكرية برئاسة ايجال يادين رئيس الأركان وايجال آلون قائد المنطقة الجنوبية الخطة المعروفة بإسم " يؤاب " وكانت تهدف إلى اختراق الخط الدفاعي العرضي الممتد من عراق سويدان إلى الفالوجا وعراق المنشية وبيت جبرين والاندفاع شرقاً وجنوباً لفتح

الطريق إلى النقب ورفع الحصار عن المستعمرات الاسرائيلية فى الجنوب والعمل على عزل القوات المصرية المتمركزة على محور رفح اسدود الساحلى ومحور العوجة بيت لحم الداخلى عن خطوط مواصلاتهما وامدادها والقيام بعد ذلك بحركة التفاف فى اتجاه غزة لتطويق جميع القوات المصرية فى فلسطين تمهيداً للقضاء عليها ..

وبدأ النشاط الاسرائيلى فى يوم ١٥ أكتوبر على الجبهة المصرية بتركيز الغارات الجوية على مطار العريش بهدف حرمان القوات البرية من المعونة الجوية وفقاً للخطة الاسرائيلية الموضوعة ..

وفى فجر يوم ١٦ أكتوبر قام الاسرائيليون بقطع الطريق الساحلى الرئيسى بين غزة والمجدل باحتلالهم المرتفعات الواقعة شرق بيت حانون ، كما قاموا بهجوم ليلى على المواقع المصرية بتقاطع الطرق غرب عراق سويدان ..

وفى اليوم نفسه قامت القوات الاسرائيلية بمعاونة الدبابات بشن هجومهم الرئيسى على عراق المنشية ثلاث مرات والتى كانت تدافع عنها الكتيبة السادسة مشاة ويتولى قيادتها القائمقام حسين كامل وأركان حربها جمال عبد الناصر ..

وإزاء المقاومة العنيفة التى أبدتها الكتيبة والقوات المعاونة لها فشلت الهجمات الاسرائيلية الثلاث واضطر الاسرائيليون إلى الانسحاب بعد أن لحقت بهم خسائر فادحة من بينها ٦ دبابات ..

وفى ١٧ أكتوبر تمكن الاسرائيليون من شن هجوم ليلى واحتلال تبة الخيش (شمال تقاطع الطرق) .. وفى اليوم التالى تم الاستيلاء على منطقة تقاطع الطرق ذاتها وبذا تم عزل القوات الموجودة فى عراق سويدان عن القوات المصرية فى المجدل ..

وقد أدرك ايجال آلون قائد القيادة الجنوبية للعدو أن التأخير فى اختراق

الموقع المصرى الرئيسى عند (الحليقات) قد يضيع الهدف من العملية (يؤاب) بأسرها ، لذا قرر الهجوم على المواقع المصرية الحصينة التى تدافع عن القرية بالمواجهة – مهما بلغ حجم الخسائر – ..

وفى ليلة ٢٠ أكتوبر تمكنت القوات الاسرائيلية بعد قتال عنيف من الاستيلاء على (الحليقات) وبذا انفتح الطريق على مصراعيه إلى المستعمرات فى الجنوب ..

وكان الاستيلاء على تقاطع الطرق والحليقات بمثابة نقطة التحول فى الحرب ، فبدلاً من أن تكون المستعمرات الاسرائيلية فى جنوب النقب تحت الحصار المصرى انقلب الوضع فأصبحت القوات المصرية المتمركزة على الخط العرضى عراق سويدان – الفالوجا – عراق المنشية – بيت جبرين مهددة بالحصار ، ومن ثم تكون جيب الفالوجا والذى وقع بعدها تحت رحمة القوات الاسرائيلية ..

سارع اللواء أحمد على المواوى القائد العام للقوات المصرية فى فلسطين بعقد مؤتمر عسكرى على مستوى عال فى مقر رئاسته بالمجدل لبحث الموقف المتدهور تبعه بإرسال برقية إلى رئيس الأركان بالقاهرة الفريق عثمان المهدى طلب فيه التصديق على قرارات المؤتمر التى كانت تقضى بالتعديلات التالية فى الخطة الدفاعية :

– سحب الثلاث كتائب مشاة (الثانية والأولى والسادسة) الموجودة على المحور العرضى مابين عراق سويدان وبيت جبرين إلى منطقة بئر سبع .

– سحب قوات المتطوعين من بيت لحم (جنوب القدس) إلى الخليل .

– سحب القوات الموجودة مابين غزة وأسدود إلى غزة بهدف احتلال الخط غزة – بئر سبع ذى الأهمية الاستراتيجية فى الدفاع عن مصر .

وعقب دراسة هذه المطالب فى المؤتمر الذى عقد برياسة الجيش بالقاهرة تقرر إرسال الرد التالى إلى قيادة القوات بفلسطين :

١- الموافقة على سحب كتيبتين مشاة إلى بئر سبع وسحب كتيبة إلى منطقة الخليل للمحافظة على بيت لحم .

٢- الموافقة على سحب القوات مابين أسدود والمجدل للعمل ضد قوات العدو مابين المجدل وغزة .

٣- الموافقة على أهمية خط غزة - بئر سبع كخط أساسى أخير .

٤- القيام بعمليات تعطيلية ضد العدو أثناء انسحاب قواتنا وتكبيده أكبر قدر من الخسائر .

وعلى الرغم من التفويض الذى منحته رئاسة الجيش للقائد العام فى فلسطين للتصرف طبقاً للموقف فقد أضاع الفرصة التى كان يمكنه خلالها استعادة الموقف بسد ثغرة الاختراق التى أحدثها العدو عن طريق القيام بهجوم مضاد تشنه قوات سدود على المواقع التى احتلها العدو فى منطقة تقاطع الطرق ، مما كان يمكن معه إعادة الاتصال مع محور عراق سويدان والفالوجا وعراق المنشية ..

كما أضاع اللواء المواوى الوقت الثمين الذى كان لايزال فى حوزته بالتردد الذى أظهره فى إصدار الأوامر التنفيذية للتعديلات التى تم إدخالها على الخطة الدفاعية بحجة انتظار التعليمات من القاهرة ..

وعلى الرغم من الأهمية الاستراتيجية الكبرى لخط غزة - بئر سبع باعتباره الخط الأساسى للدفاع عن مصر فإن القرار باحتلاله جاء متأخراً بالنسبة لعامل الوقت من جهة كما كانت إمكانات التنفيذ غير متاحة بالمرة من جهة أخرى ، فلم تكن هناك خطة جاهزة ومدروسة لاحتلال هذا الخط أو مواقع دفاعية مجهزة لصد أية هجمات توجه ضده ..

وكانت القوة المصرية المخصصة للدفاع عن بئر سبع والتى تعد مفتاح النقب لاتتجاوز سرية مشاة مختلطة من المصريين والفلسطينيين قليلة الكفاءة ضعيفة

العتاد محدودة التسليح ، ولذا لم يجد الاسرائيليون أية صعوبة فى اقتحامها عندما شنوا الهجوم عليها بقوة تزيد على لواء مشاة تحت سحابة كثيفة من نيران الهاونات وتم لهم احتلال البلدة صباح ٢١ أكتوبر قبل أن تتمكن القيادة المصرية من تقديم أية معونة لها سواء برية أو جوية .

وبسقوط بئر سبع فى أيدى اليهود انتقلت السيطرة التامة على النقب إلى الجانب الاسرائيلى .

وفى الساعة الثانية ظهراً يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٤٨ وبعد أن تم منح اسرائيل فرصة أسبوع كامل لتنفيذ عمليتها الكبرى " يؤاب " التى مزقت خلالها أوصال الدفاعات المصرية أصدر مجلس الأمن قراره بوقف اطلاق النار وبدأت الهدنة الثالثة فى فلسطين .

وصف الصاغ أ. ح جمال عبد الناصر أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة فى مذكراته وقائع الهجوم الاسرائيلى على عراق المنشية يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٨ والذى شنته هذه القوات ثلاث مرات على البلدة خلال ذلك اليوم جرى بقوات مشتركة من المشاة والمدرعات .

" تمكن الاسرائيليون من اختراق نطاقات الدفاعات والوصول إلى قلب البلدة واحتلال مبنى المدرسة القريبة من مركز رئاسة الكتيبة .. وإزاء تحرج الموقف قمت بدفع كل رجل قادر على حمل السلاح حتى الطباخين والسائقين إلى المعركة لوقف تقدم دبابات العدو ولو بأجسادهم ..

وعبر عبد الناصر عن هذا الموقف قائلاً :

" حين أستعرض هذا الذى حدث بكل دقائقه ثم أتذكر كيف تطور الموقف فى ساعة واحدة أعود فأقول : كان الله قائدنا فى هذه المعركة "

انتهت معركة عراق المنشية بهزيمة الاسرائيليين وارغامهم على الانسحاب من

عراق المنشية متكبدين أفدح الخسائر .

ويصف عبد الناصر أحداث الحصار الذى ضربه الاسرائيليون حول قطاع الفالوجا والذى يمتد من عراق المنشية إلى الفالوجا وإلى عراق سويدان ويضم مجموعة لواء بقيادة السيد طه " الضبع الأسود " ويتشكل من ثلاث كتائب مشاة هى السادسة والثانية والأولى وسرية سودانية وبعض سرايا الاحتياط .

" كان الطريق بيننا وبين المجدل قد قطع بسقوط تقاطع الطرق ، وضرب العدو ضربته الثانية حين تقدم من خربة الأمير إلى الطريق الرئيسى (العرضى) فاحتل جنوبه أيضاً كما احتل شماله وبذلك قطعنا عن بيت جبرين ..

إذن فقد أصبحنا محاصرين تماماً من الشرق ومن الغرب وبدأت أدرك أننا على أبواب أوقات عصيبة ..

كان الموقف أكثر من خطير وكان العدو نشيطاً إلى حد يفوق طاقة الاحتمال بدأت الغارات الجوية على مواقعنا تزداد كثرة وشدة واختفى طيراننا تماماً ولم نعد نراه .

وراحت مدفعية العدو تصب الحمم فوق رؤوسنا لاتهدأ لحظة ولاتتركنا نهدأ . وكان أكثر مايضايقنى أنه كان بين قواتنا عدد كبير من الجرحى ..

وكان كل الذى أتمناه أن نجد طريقاً نستطيع منه إخراج الجرحى إلى حيث نضمن لهم العلاج ، فقد كان بقاؤهم بيننا يضغط على مشاعرنا ضغطاً عنيفاً قاسياً وكان هناك بعض المرضى ..

ولقد دخلت فى الصباح أزور صديقاً فإذا هو يتلوى من الألم وإذا الفحص يثبت أنه يعانى أزمة عنيفة فى المصران الأعور وأن من الضرورى أن تجرى له جراحة عاجلة وإلا انفجر المصران .. ولكن كيف يمكن أن تجرى له العملية الجراحية ؟ وخرجت ثائراً أطلب إلى حمالاتنا أن تخرج لاستكشاف طريق آخر

للوصول إلى بيت جبرين .

وهممت فى ذلك اليوم أن أرفع جهاز اللاسلكى وأضربه فى الأرض لأحطمه واستريح من الهراء والهذر الذى كان ينصب علينا بواسطته ، فقد جاءتنا الأخبار أن مجلس الأمن عاد فأمر بوقف القتال .. الآن تحرك مجلس الأمن ؟ أين كان ؟ وأين كان الخطباء فيه ؟

لقد تحرك العدو يوم ١٥ أكتوبر ولكن مجلس الأمن أغلق عينيه وسد أذنيه وحبس لسانه ومضت أيام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ وفيها استطاع العدو أن يقطع خطوطنا وإذا مجلس الأمن يفتح عينيه وأذنيه ويصدر أمراً بوقف القتال .

لقد كانت هى خطة مرسومة .. هى مؤامرة علينا .. هو لعب بأقدارنا ومصائرنا وأعمارنا .. هو هزل وعبث والنار المصوبة فوقنا والطرق المحاصرة حولنا لاتسمح لنا أن نشترك فيه " .

ويواصل عبد الناصر مذكراته :

" فى صباح يوم الخميس ٢١ أكتوبر دعينا إلى مؤتمر فى الفالوجا وكان المؤتمر لقادة الكتائب فى المنطقة المحاصرة وأركانات حربها ، وكانت هذه الكتائب ثلاثاً (الأولى والثانية والسادسة) ورأس المؤتمر الاميرالاى السيد طه قائد الكتيبة الأولى .

وقال لنا السيد طه إنه تلقى من رئاسة القوات أمراً انذارياً بالاستعداد للانسحاب على أن يرتب أمره لبدء الانسحاب فى الساعة السادسة والنصف بعد أن يتلقى أمراً تاكيدياً بالبدء فيه .

وكان رأيى أن هذا خير مانصنعه .. لقد كنا ثلاث كتائب هى ثلث الجيش المصرى ، فهل يعقل أن يبقى ثلث الجيش المصرى مستسلماً للحصار فى مواقع سدت عليه من الشرق ومن الغرب ؟ هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى فقد كنت أرى أن بقاءنا فى هذا الخطر لم يكن له غرض ، لقد كنا هنا لكى نفصل النقب الجنوبى عن الشمال وقد اتصل النقب الجنوبى مع الشمال فلماذا بقاؤنا ؟

ومن ناحية ثالثة فقد كنت أشعر أن انسحاب، ثلاث كتائب إلى الخليل سوف يرغم العدو على توزيع قواته بينها وبين مجموعة الجيش الرئيسى على الساحل . ولقد بدا أن كل من فى المؤتمر مقتنع بهذا الرأى إلا رئيسه الاميرالاى السيد طه ..

ومع هذا فلم يسعه إلا أن ينزل على الإجماع ويلتفت إلى ليكلفنى بوضع الخطة المفصلة للانسحاب بواسطة الطريق الجانبى الذى لم يتنبه إليه العدو والذى بعثنا الجرحى منه إلى بيت جبرين .

وانتحيت ركناً من قاعة الاجتماع أرتب الخطة ولم يقدر لى أن أتم وضعها ، ما لبث السيد طه أن تلقى أمراً ثانياً من رئاسة القوات يلغى أمر الانسحاب .

وكان وقف ضرب النار طبقاً لقرار مجلس الأمن يبدأ فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الجمعة ٢٢ أكتوبر . وأوقفنا الضرب فى الموعد المحدد ولكن العدو لم يوقف ضربه ولا أوقف قواته عن احتلال المواقع التى يستكمل منها حصارنا ..

وكنت فى قلبى أتمنى أن يركز العدو جهده على طريق الأسفلت الرئيسى وينسى الطريق الجانبى إلى بيت جبرين حتى يظل هذا المنفذ مفتوحاً أمامنا ولكن الأمانى شىء والواقع شىء آخر ، فقد طلع صباح السبت ٢٣ أكتوبر واذا العدو قد احتل الطريق الجانبى وحصن مواقعه عليه وكان معنى ذلك أن حصارنا قد كملت حلقاته ولم يعد خلاله منفذ ..

وفى الساعة الواحدة ظهراً تلقى السيد طه أمراً جديداً من رئاسة القوات بالانسحاب إلى الخليل ولكن واأسفاه ..فإن الفرصة قد أفلتت .. إن طول التردد جعل الذى كان ممكناً بالأمس مستحيلاً تمام الاستحالة اليوم .. لقد قطع الطريق

الجانبي الذى كنا نعتمد عليه ..

لقد كان ممكناً أن ننسحب بسلام منذ ساعات ولكن الوضع يحتم علينا الآن أن نخترق حصار العدو ونقتحم خطوطه ونحن نحمل سلاحنا ومدافعنا ونتحرك على الطريق واضطررت عند الظهر - وقد استبان الموقف من كل نواحيه - أن أصدر أمراً بتخفيض المؤن اليومية للضباط والجنود إلى ربع ماكانت عليه . يجب أن نرتب أنفسنا للمجهول الذى يحيط بنا .

وقضينا ليلة عجيبة تحت معركة مثيرة من حرب الأعصاب طارت طائرات العدو على مواقعنا تلقى المنشورات ، وأمسكت أحدها أقرؤه .. كان بياناً موجهاً إلينا وكان أهم ماتضمنه مايلى :

(أيها الضباط والصف والعسكر . احتلت القوات الاسرائيلية بئر السبع بعد ماسحقت قواتكم سحقاً تاماً . واذا تكلمتم عن النجدات التى سيبعثها الملك عبد الله فإعلموا أنه لاينوى إلا طرد قواتكم من قواعدها فى بيت لحم والخليل ..

انكم ترون الآن فى هذه البلاد نتائج الدعاية الكاذبة التى كنتم تصدقونها قبل ما أرسلتم من مصر . وصف قادتكم وساستكم معركة فلسطين بأنها سهلة ووعدوكم بالغنائم والتمتع . أين الغنائم ؟ وأين التمتع ؟ فلم تجدوا هنا إلا المصائب ولم تلاقوا إلا الخسائر الفادحة ..

وقد شاهدت عيونكم أن اليهود يعرفون الدفاع عن وطنهم وأراضيهم فإنهم لم يحتلوا بلاداً غريبة ولايفكرون فى احتلال أى بلاد ليست لهم . وإن تطلعتم إلى الخريطة تبين لكم أن الجيوش الاسرائيلية تحيطكم إحاطة السوار بالمعصم ..

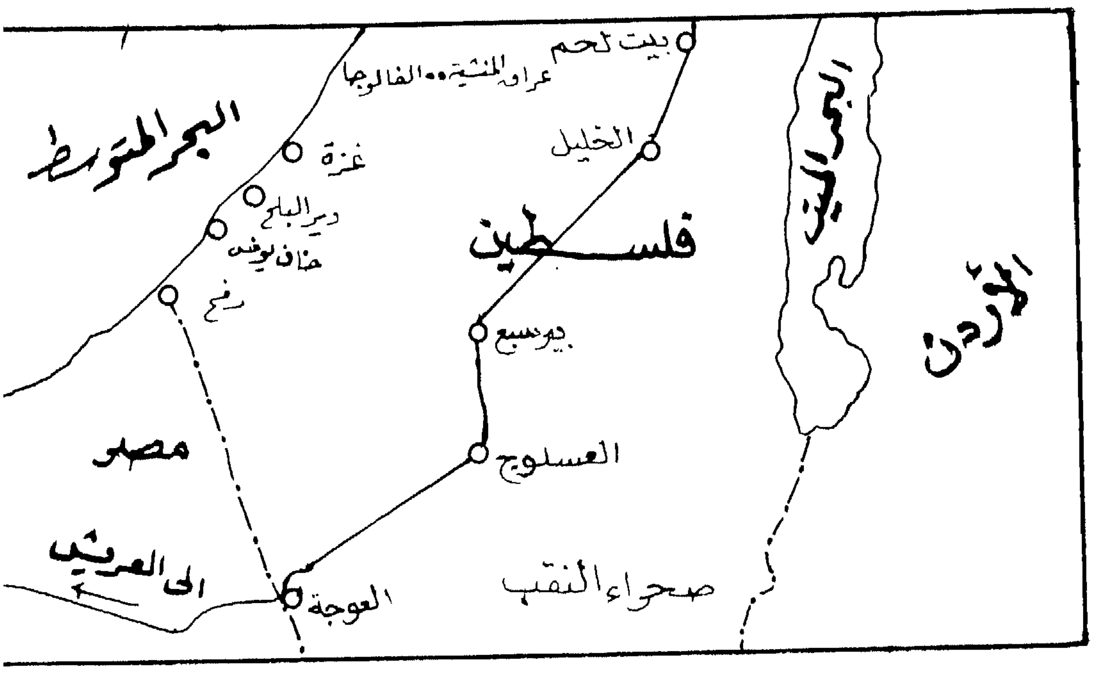
وعليكم أن تختاروا ، إذا أردتم البقاء فى الحياة فاستسلموا وستعودون سالمين إلى بلادكم . واعلموا كذب من قال إننا نقتل الأسرى فهذه أقبح دعاية اخترعها قوادكم الذين ينتظرون الأوسمة والنياشين ولايكترثون بموت الألوف من جنودهم ..

هم لهم النياشين ولكم الفناء ..

افتكروا قبل الموت . اصغوا إلى إخوانكم الأسرى يدعونكم للأستسلام انجوا بأنفسكم واستسلموا . كل من يحضر وبيده هذا المنشور ستؤمن حياته ويعود سالماً إلى بيته . أيها الضباط اعلموا اننا سنحترم حقوق مندوبكم الذى يتقدم حاملاً الراية البيضاء لتجرى معه المفاوضات وثقوا باحترام حقوقكم العسكرية فى أديانننا أعلنتم وأنذرتم)

وانتهى المنشور الاسرائيلى ..

وسقطت الفالوجا تحت الحصار ..



مواقع العمليات التى احتلتها القوات المصرية حتى سقط ثلثا الجيش فى مصيدة الفالوجا

الفصل الثالث

الجيب الرهيب

طارت أنباء حصار الفالوجا إلى جميع أرجاء العالم .. بعد أن حولتها الحكومة الاسرائيلية إلى ملحمة من بطولة جنود جيش الدفاع ..

وتحولت الأنظار إلى " الجيب الرهيب " .. تنقل أخباره وأخبار القوات المصرية المحاصرة وحددت الأيام والساعات التى سوف تسقط فيها القوة " أسرى حرب " فى يد القوات اليهودية ..

وصمدت قوات الحصار وسط مفاجاة العالم ولم تُمكِّن العدو من تحقيق أهدافه ودعاياته وأحلامه ..

وحقق الجندى المصرى بصموده القوى ملحمة خاصة من البطولة الذاتية رغم كل الظروف السيئة التى أحاطت به والعقلية المتخلفة التى يتحلى بها قادة جيش الملك الذين دخلوا الحرب باسلوب " قوة المحمل " التى كانت تنقل الكسوة إلى الكعبة المشرفة وسط احتفالات المسلمين .. وليست استراتيجية محددة وتكتيكات وخطط حرب مدروسة .. لاتملك إلا " النعرة الكذابة " .. وإطلاق بالونات الغرور فى سماء الحرب ..

وجاءت يوميات الحصار لتؤكد هذه الحقيقة وتحدد مسار تكوين تنظيم الضباط الأحرار فى الليالى السوداء الذى قاسى تجربة الغرور والجهل من قادة الجيش فتعامل مع العدو بذاتية أفراده ابتداء من القيادة وحتى أصغر جندى فيها ..

قبل سقوط جيب الفالوجا تحت الحصار بدقائق غادر البلدة البكباشى عبد الفتاح فؤاد أركان حرب اللواء الرابع مشاة الى المجدل عن طريق بلدة كوكبة دون أن يترك مفتاح الشفرة لقائدى الكتيبة الأولى والثانية والسادسة التى عانت

الحصار .

وبعد سقوط " الجيب " غادر مندوبو الهدنة البلدة فى نفس اليوم وتركوها لمصيرها وسط مواجهة تبدو دامية فى الأفق بين الطرفين ..

وبعدها بساعات بدأ رحيل الأهالى عن الفالوجا هرباً من الموت بعد أن حملوا معهم ماخف حمله وغلا ثمنه .. حتى كلابهم صحبتهم فى الهروب ولم يبق بها الا الشيوخ وغير القادرين على السير من المسنين ..

وتحولت البلدة الى خرائب تحتلها القوة المصرية ..وبقايا الحيوانات الضالة من الداخل ويفرض عليها الحصار من كل جانب .. وانقطعت الاتصالات بكل الرئاسات .. سواء فى المجدل .. أو غزة .. أو القاهرة ..

وتحقق عزل " المجدل " هى الأخرى عن باقى وحدات الجيش المصرى بعد سقوط الفالوجا تحت الحصار بيومين بعد أن نسف العدو الكوبرى المقام على " وادى حسى " بين " دير سنيد " و" غزة " والمارعليه الطريق الأسفلت ..

كما أحتلت بلدة " دمرا " فقطع الطريق بين القوة المتواجدة فى المجدل ورئاسة القوات المصرية فى غزة التى بها مخازن المؤن والامدادات ونهاية الخط الحديدى للقاهرة ..

وتحول الموقف الى مهزلة عسكرية .. وفوضى .. وارتباك .. وخاصة بعد أن واصل العدو تقدمه واحتل " تبة " الطريق الأسفلت الموصل الى الساحل الشمالى لمدينة غزة بقصد الاحاطة بها وقطع الطريق الوحيد الباقى للتسلل من المجدل لغزة وهو طريق رملى لايصلح لمرور السيارات ..

وقد صدت قوات الكتيبة الثالثة مشاة هجوم العدو على التبة واستطاعت طرده منها .. وأمكن للقوات المصرية استمرار سيطرتها على الطريق الساحلى الوحيد للاتصال بالمجدل ..

واستطاعت القيادة أن ترسل تعزيزات محدودة للقوات المحاصرة فى الفالوجا عن هذا الطريق ..

وتحولت الحياة فى الجيب المحاصر الى مأساة ..وتحولت بعدها القرية إلى مدينة من الأموات والأشباح ..

كان الخراب يجتاح شوارعها ودروبها من شدة القصف المدفعي المستمر والمتقطع .. البيوت مهدمة وآثار الحريق بادية والطرق خربتها القنابل وجثث القتلى متناثرة بعضها متماسك .. والآخر أشلاء ..

ونسيت قيادة الرئاسات هذه القوة المحاصرة لمدة أربعة أيام منذ بداية السقوط فى ١٧ أكتوبر وحتى ٢١ أكتوبر ١٩٤٨ ..

وبدأ " الضبع الأسود " الاميرالاى السيد طه يعيد تقدير الموقف فى ضوء التطورات الجديدة ويضع خططه لمواجهة الحصار ..

وفوجىء الضبع الاسود بإشارة لاسلكية التقطها بالصدفة من محطة اشارة مصرية يوم ٢١ أكتوبر تطلب منه الانسحاب الى الخليل .

وفوجىء أيضاً بقرار من القيادة بتعيينه قائداً لقطاع الفالوجا كله وليرأس قوات الكتائب الأخرى باعتباره أقدم الضباط ..

وكانت إشارة طلب الانسحاب حقيقية ومضحكة ومبكية فى ذات الوقت وتكشف غرور وجهل القائد الذى ارسلها فقد كان تنفيذ طلبه بالانسحاب هو وقوع مذبحة للقوات المنسحبة فالعدو يحتل موقعاً دفاعياً شمال وجنوب الطريق مابين عراق المنشية وبيت جبرين قاطعاً الطريق بين البلدتين والذى يمثل الطريق الوحيد للانسحاب الى بلدة الخليل .. والمرور عبر هذا الطريق معناه القيام بعملية هجومية على مواقع العدو التى جهزها للدفاع لتغطية الانسحاب ..

وهذه العملية لوتم تنفيذها تحتاج الى امدادات دفاعية كبيرة جداً ومايوجد لدى

قوات الفالوجا من اسلحة وذخائر لايكفيها للدفاع الوقتى وليس الإعداد للانسحاب .. خاصة أن معظم عربات الحملة تم تدميرها خلال الغارات الجوية المعادية على القطاع ..

وقرر الضبع الأسود عدم تنفيذ الأمر !!!لاستحالة ماتطالبه به قيادة القوات فى غزة .. والدفاع عن قرى جيب الفالوجا حتى الموت .. أو النصر ..

وأقسم قواد الكتائب والسرايا والفصائل على عدم تنفيذ هذا القرار .. وأصبحت الحرب " حياة أو موت " .

وبدأ العدو يشدد من هجومه على عراق سويدان لاسقاطها .. وتصدى المدافعون من الكتيبة الثانية مشاة بقيادة القائمقام " أحمد توفيق " للهجوم اليهودى ودحروا قواته بمعاونة المدفعية المصرية فى بلدة الفالوجا ..

وكان هذا أول انتصار للقوات تحت الحصار ضد القوات الاسرائيلية وكان له أثره المباشر فى رفع الروح المعنوية والتشبث بالأرض ..

وفوجىء الضبع الأسود فى التاسعة صباح يوم ٢٢ أكتوبر بإشارة أخرى تطلب منه الانسحاب الى الخليل .. وبعدها بثلاث ساعات بإشارة ثالثة .. تطلب منه الغاء الأمر الأول بالانسحاب ..

وبعدها بساعات وصلته اشارة رابعة تفيد صدور قرار مجلس الأمن بوقف القتال على كافة الجبهات .. ويطلب من الطرفين الاحتفاظ بالمواقع التى وصلت اليها ساعة صدور القرار ..

وتنفس الضبع الأسود الصعداء .. وبدأ يشترك مع قادة الكتائب والسرايا فى وضع استراتيجية العمل فى المرحلة القادمة والاستفادة من كل الامكانيات المتاحة داخل " القطاع " .. وفى نفس الوقت التشديد على تدريب الأفراد ورفع حالتهم المعنوية لمواجهة أى محاولات غادرة من العدو للتسلل فى الظلام .. ومايطرأ من

مفاجآت ..

وكان أبطال الحصار على مستوى الفداء وضربوا كل آيات الشجاعة والصمود ..

والتقط المحاصرون اشارة تفيد بانسحاب القوة المصرية بقيادة القائمقام أحمد سيف اليزل خليفة من مدينة الجليل الى بيت لحم .. وهذا معناه أن أصبحت القوة المصرية فى بيت جبرين (إحدى النقاط المحاصرة فى قطاع الفالوجا) مكشوفة وفى خطر وشبه معزولة وعلى مسافة طويلة جداً من أقرب قوة مصرية يمكن الاتصال بها ..

وكان " الضبع الأسود " يملك حاسة التوقع واحتمال المفاجأة ويعرف طبيعة العدو جيداً .. ولم يمض على قرار مجلس الأمن ساعات حتى خرق العدو الهدنة الثانية وقرار وقف إطلاق النار وركز هجومه بالطائرات على الفالوجا .. كما هاجمت قوات المشاة والمدفعية بلدتى بيت جبرين وعراق سويدان (وهما من النقاط المحاصرة) ولكن جنود الكتيبة الثانية تمكنت من صد الهجوم ..

وأصبح العدو حراً فيما يفعل بعد أن انسحب مراقبو الهدنة من القطاع بعد حصاره بساعات .. ولم يكن هناك رقيب على تصرفات العدو أو عدوانه أو خرقه لقرار وقف النار ..وفرض القدر على القوة المصرية الباسلة فى الفالوجا أن تقف وجهاً لوجه أمام الموت رغم قرار مجلس الأمن ..

. . . .

فرض العدو حصاراً على عراق المنشية بهدف تصفيتها واستسلامها ونجح فى احتلال بعض القرى المصرية فى " خربة حامد " و " خربة أبو رحمة " و " خربة الهبور " و " كركرة " .. وكانت هذه القرى تحيط بعراق المنشية الى الجنوب .

ولم تستطع القوات المصرية نجدة هذه القرى أو الدفاع عنها بعد قطع الطريق الموصل وتركتها لمصيرها تحت الاحتلال الاسرائيلى ..

والغريب فى الأمر أن رئاسة القوات المصرية كانت فى مكان تواجدها سواء فى المجدل أو غزة ترسم خططها وكأن قطاع الفالوجا ليس تحت الحصار .. وتصدر لقادة الكتائب المحاصرة الأوامر والتعليمات بشن الهجوم .. أو الانسحاب .. وكأن القادة المحاصرين يملكون زمام الأمر ..

وتسلم الضبع الأسود اشارة من رئاسة القوات المصرية تطلب منه أن يحتل بلدة " بيت جبرين " لتأمين المواصلات الى الخليل ..

ورد القائد الشجاع على رسالة قادة اللواء باشارة نصها ..

" الطريق مغلق من الجهتين بقوات العدو المحتلة .. مواقع دفاعية تمنع المرور على الطريق " ..

ولم يضف القائد أى عبارة تفيد رئاسة القوات فى غزة بالرأى أو تنفيذ طلبها

وهاجمت قوات العدو بلدة بيت جبرين بعد وصول الاشارة للضبع الأسود .. وصدت قوة الكتيبة السادسة مشاة هجمات العدو عند مركز البوليس وكبدتها خسائر فادحة ..

وتكررت الهجمات على الأماكن المحاصرة .. وبرز سؤال ..

لماذا تتم سلسلة الهجمات التى يشنها العدو ضد القوات المحاصرة عقب إرسال الاشارات اللاسلكية من مركز القيادة للضبع الأسود .. هل هى مصادفة أم تتم بعد كشف الشفرة السرية والتقاط نصوصها عن طريق التصنت على أجهزة اللاسلكى فى مركز القيادة ؟

وماجرى فى بلدة بيت جبرين فور بدء الهجوم الاسرائيلى كان أمراً أكثر حيرة .. حيث جمع الاميرالاى ابراهيم شوكت قائد قوة المتطوعين أهل البلدة من الفلسطينيين ومعهم الحاكم الادارى وأمرهم بالانسحاب الى مدينة الخليل تاركين البلدة لمصيرها أو لدفاع القوة المصرية التابعة للكتيبة السادسة ..

ثم قام العدو بالهجوم مرة ومرة على نفس النقطة بتعزيزات أقوى وأكثر ليرهق القوات المصرية ويفرض عليها الاستسلام .. ليبرز سؤال آخر حول العلاقة بين توقيتات الهجوم الاسرائيلى وأوامر القادة العسكريين فى القيادة وهل هناك ارتباط؟

وبدأت مرحلة القتال المتقطع بين قوات العدو والفصائل المصرية على طول قطاع الفالوجا حيث هاجم العدو بيت جبرين مرة ثانية ونسف جزءاً من مبنى البوليس واحتل مكاناً مرتفعاً يتحكم منه على المركز ومن فيه ..

ودافعت السرية المصرية عن المركز " دفاع الأبطال " حتى نفدت ذخيرتها عن آخرها فصدرت لها الأوامر بالانسحاب الى مدينة الخليل .. تاركة البلدة للعدو ..

وهدد احتلال العدو لبيت جبرين القوة المصرية فى " خربة الأمير " فأمر قائد الكتيبة السادسة بسحبها هى الأخرى الى عراق المنشية ليركز قواته المتناثرة للدفاع ..

وبدأ العدو فى احتلال النقاط الضعيفة حول مواقع التجمع المصرى .. مبتدئاً بالهجوم على بلدة عراق المنشية أو عراق سويدان ..

وفى نفس الوقت يحتل مواقع حولها شمالاً وجنوباً لتضييق حلقة الحصار عليها ..

وكانت غاراته الجوية لاتنقطع بعد أن خلت له السماء من الطائرات المصرية لمطاردتها أو المدافع المضادة لتشتيتها ..

وكانت الذخيرة لدى القوات المصرية تتناقص باستمرار نتيجة استنفادها فى صد الهجمات المتكررة وكانت المواد التموينية المعيشية تتناقص أيضاً بعد أن رحل عنها أهل البلاد .. وبدأ الموقف يسوء .. وينذر بالخطر ..

وطلب العدو من القوات المصرية المحاصرة الاستسلام بطريقة مباشرة ..

في يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٤٨ تقدم ضابط اسرائيلى يرفع علماً أبيض لمركز بوليس عراق سويدان يطلب من القوة التسليم ذاكراً لضباطها أن القوات المصرية فى " أسدود " وبتساليم قد استسلمت .. وأن الجيش المصرى قد انسحب من المجدل .. ورفضت القوة الانذار الاسرائيلى ولم تصدق ما ذكره الضابط عن استسلام المصريين

وتطايرت أنباء انسحاب قوة المجدل فى اذاعات العالم ماعدا الاذاعة المصرية بعد أن فرضت عليها رقابة مشددة .. بينما لزمت رئاسات الجيش الصمت .. ولم تبلغ قواتها فى فلسطين أى معلومات عن سير المعارك ..

وأصدر القائد العام اللواء المواوى أمراً إلى قائد الفالوجا " الضبع الأسود بتجميع القوات المصرية التى تحتل الخط الدفاعى وتوجيهها لاستعادة بلدة " بيت جبرين " ولكن الأمر استحال تنفيذه لنقص العربات ووجود عدد كبير من الجرحى العاجزين عن السير ..

وبذلت القيادة محاولات مع السلطات الأردنية للمعاونة معها فى فتح الطريق من " بيت جبرين " الى " عراق المنشية " لإعادة الاتصال بقوات الحصار ولكن لمحاولات لنجدة القوات المحاصرة فشلت مما اضطر مركز القيادة إلى أن يأمر بتموين القوات المحاصرة عن طريق الجو ..

وبدأ العدو يمطر السماء بمنشورات يسقطها من الطائرات على القوة المحاصرة فى الفالوجا يدعوها للاستسلام ..

وكانت المنشورات مكتوبة باللغة العربية .. وتحمل العديد من الأخبار الكاذبة عن القوات المصرية ..

وكان نص أول منشور اسرائيلى ألقته الطائرات المعادية على قوة الفالوجا يوم ١٦ أكتوبر ٤٨ نصه كالتالى :

« .. أيها الضباط والصف والعساكر باللواءين الثانى والرابع .. هل تعلمون أنكم محاطون .. وأن اللواء الثانى محاط وكذلك اللواء الرابع ولا توجد أى وسيلة للانتقال بينهما ولامفر من الاحاطة ..

هل تعرفون مامعنى الاحاطة ؟

إن الاحاطة معناها الفناء والموت ..

وانكم لتشعرون بذلك فى المستقبل القريب ولن يستطيع قوادكم أن يبروا بوعودهم الكاذبة قائلين بأن النجدات من الرجال والمهمات ستصلكم قريباً . كلا ..

لقد احتلت القوات الاسرائيلية بئر سبع بعد أن دكت قوادكم دكاً وسحقتها سحقاً تاماً .. وإذا تكلمتم عن النجدات التى سيبعثها الملك عبد الله فاعلموا أنه لاينوى إلا طرد قواتكم من قواعدها فى بيت لحم والخليل ..

إنكم ترون الآن فى هذه البلاد نتائج الدعاية الكاذبة التى تصدقونها قبل ارسالكم من مصر ..

لقد وصف قوادكم وساستكم رحلة فلسطين بأنها سهلة ووعدوكم بالغنائم وبالتمتع ..

أين الغنائم وأين التمتع ؟ . لن تجدوا هنا إلا المصائب ولم تلاقو إلا الخسائر الفادحة .. ولن تلاقوا غير هذا فى المستقبل ..

وقد شاهدت عيونكم أن اليهود يعرفون الدفاع عن وطنهم وأراضيهم ويحسنون التحارب فأنهم لم يحتلوا بلاداً عربية ولم يفكروا فى احتلال أى بلاد ليست لهم ..

وإذا اطلعتم على الخريطة فسيتبين لكم أن الجيوش الاسرائيلية تحيطكم احاطة السوار بالمعصم وعليكم أن تختاروا .. إذا أردتم البقاء فى الحياة فإستسلموا وستعودون سالمين الى بلادكم ..

واعلموا أنه كذب من قال اننا نقتل الأسرى فهذه أقبح دعاية اخترعها قوادكم

الذين ينتظرون الأوسمة والنياشين ولايكترثون بموت المئات والألوف من جنودهم ..

هم لهم النياشين ولكم الفناء ..

ولقد أمر اللواء أحمد بك محمد على المواوى الجنود المحاطين فى بيت عفا وفى عراق سويدان بالقتال حتى الموت ..

ولكن أين سعادة صاحب العزة الآن ؟ . أنه ولى ابره تولية الجبان بعدما أسرنا ضباط رئاسته ..

وأين قائد بئر سبع ؟. لقد ترك جنوده منهزمين وهرب وكان القائد أول الهاربين وكذلك فى الحليقات وغيرها من المواقع التى احتلتها قواتنا .. افتكروا قبل الموت .. اصغوا الى اخوانكم الأسرى إنهم يدعونكم للاستسلام .. انجوا بأنفسكم واستسلموا ..

إن كل من يحضر وبيده هذا المنشور ستؤمن حياته ويعود سالماً إلي بيته ..

أيها الضباط اعلموا اننا سنحترم حقوق مندوبكم الذى يتقدم حاملاً الراية بيضاء لتجرى معه المفاوضات وثقوا بإحترام حقوقكم العسكرية فى ديارنا "

وانتهى المنشور الاسرائيلى المسموم .. ولم يؤثر المنشور فى الحالة المعنوية للصامدين واستمرت الطائرات المعادية فى القاء هذا المنشور على الجنود والضباط يومياً .. وقرأه العديد من أفراد القوة المحاصرة ولم يعيروه التفاتاً فقد كان الشعور الوطنى غالباً .. والحماس متقداً ..

وكان الضباط والجنود يجمعون نسخ هذا المنشور ويقومون بحرقها .. ولم تؤثر الدعاية الاسرائيلية على حالتهم المعنوية بل زادتهم إصراراً على الصمود ..

بدأ القادة المحاصرون يعيدون ترتيب الأوضاع .. وإصلاح الأماكن المهدمة .. ويضعون خططهم لحصار طويل ..

وبدأت الطائرات المصرية تتسلل لتسقط الامدادات التموينية والعسكرية لقوات

الحصار عن طريق القاء اسطوانات جلدية تحوى مواداً غذائية وذخيرة ولكن كمياتها كانت محدودة وغير كافية على الاطلاق .. وكان معظم المأكولات " حبوباً " مثل العدس والفول .. تنفجر جوالاتها فى الجو قبل أن تصطدم بالأرض ..

أما الأدوية فكانت تالفة فى معظم الأحوال وكانت تزيد الأمراض لا أن تعالجها فى المستشفى الوحيد الذى تحول الى أنقاض بسبب الغارات المستمرة ..

أما الذخيرة فكانت محدودة وفاسدة .. وغير كافية لإسكات مدافع الهاون الاسرائيلية التى تزأر كل دقيقة وتجعل الليل نهاراً بفعل قوتها ..

ولم تكن مدفعية الفالوجا المحدودة قادرة على اسكات مدفعية العدو خاصة أنه يغير مواقع مدفعيته دائماً ..

واستمر الحصار .. وزادت المعاناة وكان العدو يجد تسلية فى ممارسة لعبة القط والفأر مع القوات الباسلة ..

فى ليلة ٢ نوفمبر هاجم العدو جميع القطاعات المحاصرة من بيت عفة وعراق سويدان والفالوجا وعراق المنشية دفعة واحدة .. ولكن القوات المحاصرة استطاعت أن تعوق تقدمه بأسلحتها المحدودة ..

واستمر القتال طوال الليل واليوم الثانى ولم يهدأ الا فجر ٤ نوفمبر عندما فوجئت القوة المتمركزة فى عراق المنشية بهجوم كاسح من جهة الشرق دام ساعتين .. واستطاعت بعدها القوة المصرية أن ترده على أعقابه ولاتمكنه من التقدم لاحتلال البلده ..

وفى يوم ٤ نوفمبر أرسلت قيادة الفالوجا اشارة لرئاسة القوات فى غزة تطلب منها الانقاذ والتدخل بعد أن انخفضت كميات الذخيرة والاحتياطى من التموين ..

وردت الرياسة بأغرب رد سجلته يوميات الحصار .. قال قائد اللواء الرابع بإختصار ..

" اعتمدوا على أنفسكم وجمعوا قواتكم .. لتكونوا قوة ضاربة تفتح الطريق لنفسها وتنسحب من مكانها الى بلدة " البرير " .

ولم تعرف القيادة أن البرير وما حولها كان في يد العدو عقب انسحاب القوات المصرية من بلدتى " كوكبة والحليقات " ..

ومزق الاميرالاى السيد طه " الرد السخيف " وقرر الاعتماد على قوته الذاتية في مواجهة الحصار وزادت عمليات القاء المنشورات المعادية من طائرات العدو .. وكلها تدعو للاستسلام .. ونشر الأخبار الكاذبة عن القوات المصرية .. ولم تلق هذه المنشورات أى اهتمام بل زادت من الإصرار إصراراً على التحدى والصمود ..

وهنا نشير إلى نوعية المقاتل المصرى الصامد وسط الظلام والذى يعانى نقص الذخيرة والعتاد .. ويواجه الاشاعات .. وانعدام الأمل في النصر القريب ..

وكيف تحول انسان الفالوجا إلى هذه الكتلة الضخمة من " التحدى " والصمود .. و يرى أمامه مستشفى بلا علاج ومئات الجرحى كل يوم بلا إنقاذ .. وليالى سوداء بلا طعام .. وطائرات حرة تلقي منشورات تدعو للنجاة بشرط الاستسلام .. وإشارات مهزومة من قيادات فاشلة تدعو الى اليأس والانسحاب ..

والإجابة باختصار تظهر بوضوح في إرادة هذا الجندى المصرى ونوعيته وبطولته وقت الشدائد ..

تظهر أيضاً في ايمانه بربه .. وجهاده في سبيل الله .. واستشهاده في سبيل الوطن ..

والنموذج القريب لمصداقية هذه القيادة تتمثل في القائد الوطنى " السيد طه " .. قائد القوات المحاصرة وزملائه من الضباط .. وسلوكهم وسط الجنود .. فلم يكونوا قادة متغطرسين بقدر ماكانوا قادة لمجموعة في مهب الريح .. لم يستسلموا أو يضعفوا .. وبثوا روح التحدى في الجنود .. فزادت قوتهم على الصمود

والانتصار ..

وسقطت المجدل فى يد العدو الاسرائيلى يوم ٥ نوفمبر وكان لسقوطها دوى الأنفجار .. وأذاعت وكالات الأنباء العالمية .. والاذاعات المختلفة خبر سقوط المجدل ومستعمرة ديرسنيد فى يد الجيش اليهودى فى نشراتها عدة مرات .. ولم تذع القاهرة أى تعليق على هذه الكارثة .. ولم تبلغ رئاسة القوات أى شىء للقوات المصرية الموجودة فى ميدان القتال .. وأعقب خبر السقوط .. تقدم ضابط اسرلئيلى من مركز بوليس عراق سويدان فى نفس اليوم يطلب من قوتها الاستسلام ..

ورفض القائد المصرى الانذار قائلاً : " أبلغ قادتك أن قواتى ستحارب لآخر قطرة وآخر رجل " .

ونشطت مدفعية العدو ليلتها فى دك مواقع الحصار لتزيد من انخفاض الروح المعنوية للجنود الصامدين وتستنزف طاقات هذه القوات من الأسلحة والذخائر خاصة بعد أن أصبحت كل الأراضى الواقعة غرب عراق سويدان تحت سيطرتهم وأصبح لهم حرية الحركة حول جيب الفالوجا من جميع الاتجاهات ..

وركز طيران العدو - وقتها - على ضرب عراق المنشية والفالوجا وعراق سويدان بالغارات الجوية كل ساعة .. ولم تتسبب القنابل فى تدمير الأهداف بعد أن هجرها الأهالى وعاش الجنود فى الخنادق الدفاعية طوال الوقت ..

وشن العدو هجوماً كاسحاً على مركز بوليس عراق سويدان ليالى ٧ و ٨ و ٩ نوفمبر .. ولكن المركز لم يسقط بعد أن تحولت المعركة إلى اشتباك بالأيدى والسلاح الأبيض مما اضطر العدو الى استخدام المدفعية الثقيلة فى فتح الثغرات دون جدوى .. بعد أن تشبث أفراد القوة المصرية بالأرض ..

ووجه العدو مدفعيته تجاه مبنى المركز يمطره بالقنابل حتى شوهد العلم

المصرى يسقط من على ساريته وقد أطاحت القنابل بقاعدته .. وانسحب جنود الكتيبة التاسعة المدافعة عن المركز الى عراق سويدان " البلد " .. وبعد قليل شوهد العلم الأبيض يرتفع على مبنى المركز ايذاناً بالتسليم ..

واستدار العدو إلى " بيت عفة " و " عراق سويدان " " البلد " يحاول احتلالها وتحرج الموقف واتصل " السيد طه " قائد لواء الفالوجا بالقائمقام " أحمد توفيق " قائد الكتيبة الثانية لمواجهة الموقف بعد سقوط " المركز " ولكنه لم يعثر عليه فى مقره ولم يمكنه الاتصال به ..

واستدعى " السيد طه " الصاغ أ. ح جلال ندا " قائد قوة بلدة بيت عفة " ليسرع بسريته إلى عراق سويدان " البلد " لينظم انسحاب قواته الى الفالوجا على أن تبقى باقى قوات الكتيبة الثانية فى مواقعها جنوب بلدة كراتيا وغرب الفالوجا لمواجهة أى تطور مفاجىء ..

وانسحبت الكتيبة الثانية من مواقعها فى عراق سويدان البلد ومعهم أهالى البلدة إلى الفالوجا ..

وزادت المأساة عندما تركت " القوات " الاحتياطية أماكنها فى كراتيا وغرب الفالوجا – وانضمت الى المنسحبين – قبل أن يصل اليها الصاغ " جلال ندا " لإبلاغ أوامر " القائد " بالبقاء .. والدفاع عن المواقع التى حددها لحراسة الجانب الغربى من الفالوجا .. والاحتفاظ بالأرض العالية المشرفة عليها من الغرب ..

وكانت صورة " الانسحاب " – واللجوء الجماعى للجنود والأهالى عن الفالوجا .. أمراً غاية فى الخطورة حيث اختلط " الحابل بالنابل " – بعد أن اقتحموا السلك الشائك وحقول الألغام هرباً من الموت فوقعوا فى المصيدة .. ولقوا المصير القاتل بعد أن انفجرت فيهم القنابل والألغام وسقطوا تحت الأقدام ..

وظهرت خاصية القائد " المحنك " فى مواجهة الموقف الصعب .. فأمر

بإستقبالهم – أحسن استقبال .. وطلب من " معاونيه " توفير كل أسباب الراحة لهم في حدود الامكانيات .. واستطاع بحنكته وصبره أن يمتص حالة التمرد التي سيطرت على الجميع .. ونجح في تحويلهم الى قوة منتجة .. وليست مخربة .. فأزال عنهم التوتر والشعور بالموت .. وضمهم لقواته لتزداد إصراراً على الصمود .. والدفاع ..

وكانت خسائر الكتيبة الثانية في معاركها وانسحابها ١٧٠ قتيلاً و ٢٠ مفقوداً .. علاوة على الجرحى والمصابين ..

وفي العتاد العسكري – ٥ مدافع ٦ رطل و ٢٩ رشاش فيكرز و ١٦ هاون ٣ بوصة و ٧ قاذفات بيات و ٥ رشاشات برن و ١٢٠ بندقية و ٩ قواعد برن و ٧ عربات لوري و ٤١ موتوسيكل بخلاف تعيينات التموين ومهمات الجنود ..

وضاقت حلقات الحصار حول الفالوجا .. وأصبحت طرقاتها ومبانيها سهلة لقوات العدو ..

وأصبح الجيب المحاصر .. عبارة عن .. الفالوجا وعراق المنشية فقط يتوسطها موقع الكوبري وجيب مستطيل طوله ٧ كيلومترات وعرضه ٦ كيلومترات ..

وصمدت القوات الباسلة في هذا الشريط الضيق ووقعت احداث وأحداث ..

" ويصف " السيد طه " قائد الفالوجا وجمال عبد الناصر أركان حرب الكتيبة السادسة في مذكراتهما فترة الحصار التي امتدت لأكثر من أربعة شهور وصفاً دقيقاً وصادقاً تحمل أفراد الحامية المصرية خلالها أقسى صنوف الحرمان وأشد ويلات القصف المدفعي وهجمات الدبابات وغارات الطيران مما لايطيقه بشر ..

يقول الضبع الأسود " الاميرالاى السيد طه " ..

" استخدم اليهود للمرة الأولى الأنوار الكاشفة لمساعدة المدفعية والطيران في ضرب الفالوجا وكانت الفالوجا كالقاهرة في ليالي العيد شعلة مضيئة تحوطها

الأنوار القوية من كل جانب ..

وكانت الأنوار الكاشفة تنتقل من مكان إلى مكان ومعها نيران المدفعية الثقيلة وقنابل الطائرات ..

وكانت ليلة ١٧ نوفمبر تعتبر بحق أعنف ليلة شهدتها الفالوجا ، فقد استمر نشاط العدو الجوى اثنتى عشرة ساعة متوالية من الساعة السابعة صباحاً إلى الساعة السابعة مساء وقد بدأت الغارات بطائرات ذات محرك واحد ألقت حوالى ٣٠٠ قنبلة فسفورية أشعلت الحرائق فى البلدة ، واستمرت أفواج الطائرات من ذات المحركين والأربعة محركات تغير على الفالوجا ..

وقد بلغ عدد الغارات ١٩ غارة ألقى فيها مايزيد على ١٨٠ قنبلة ثقيلة وكانت مدفعية العدو الثقيلة وأسلحته الصغيرة مستمرة النشاط خلال هذه الغارات ..

وليلة ١٩ نوفمبر كانت أعنف من السابقة واستمرت غارات العدو طوال الليل وبلغ ما ألقى حوالى ١٠٠٠ قنبلة وزعت بالعدل والقسطاس على جميع أنحاء الفالوجا ..

ولم يبق فى الفالوجا شبر من الأرض لم يأخذ نصيبه من هذه القنابل الثقيلة ، ومع ذلك فعين الله كانت ترعانا فإن الخسائر فى الأرواح كانت بسيطة وقد دمرت الطائرات ماكينة رفع المياه التى أصلحت فى الأسبوع الماضى " .

ويصف جمال عبد الناصر فى مذكراته الهجمات التى شنها العدو على دفاعات الكتيبة السادسة المشاة فى عراق المنشية فيقول :

" كانت البلدة فى هول مخيف .. القنابل تنفجر فى كل ناحية .. ضجيج المعركة يملأ الآفاق .. طلقات الرصاص تزأز مجنونة لاتلوى على شىء ..

وأدرت رأسى عن مشهد مؤلم .. أحد جنودنا من سلاح الاشارة مازال يواصل عمله ويمد أسلاك التليفون التى قطعها العدو ويصيبة الرصاص ويقع ويتقدم مكانه

واحد آخر من جنود الاشارة ..

وفجأة أحسست بحافز خفى ، صوت قنبلة مختلف عن باقى الأصوات ، كانت القنابل المندفعة فوق رأسى إلى أهدافها تصنع فى اندفاعها صوتاً خاصاً بين الأزيز والفحيح السريع الخاطف ..

أما هذا الصوت الذى أسمعه فوق رأسى فهو أشبه بخفق أجنحة الطير عندما يصيبه رصاص الصائد فيرفرف ويسقط على الأرض ..

إنى أعرف هذا الصوت .. إنه صوت سقوط القنبلة عند وصولها إلى نهاية مرماها ، ألقيت نفسى بسرعة على الأرض فى حمى جدار منخفض متهدم ، وبعد ثانيتين سمعت صوت الانفجار ورفعت رأسى فوجدت غبار الانفجار مازال كدوامة الهواء على الناحية الأخرى من الجدار ، وبدأ كل قادر على حمل السلاح يخرج حتى الطباخون وسائقو السيارات ..

ومازلت أذكر أحد السائقين وكان اسمه عزت وكان قلبه كالحديد ولم يكن يتردد أمام أية مهمة وكان ينجو دائماً بما يشبه المعجزات ، وقد التقيت به أخيراً منذ شهور فى مستشفى الجيش (بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢) وكان مريضاً فى المستشفى وعرفته وبدأت أحدثه واتعرف على حالته ..

قال لى وعيونه مليئة بالدموع إنه مصاب بسل فى العظام ، وقلت للطبيب الذى يعالجه : أما من وسيلة ؟ قال .. عندنا لا ولكنهم قد يستطيعون عمل شىء له فى أمريكا ، قلت : إذن يسافر إلى أمريكا لكى يعالج هناك ، إنه خير عندى من مائة من هؤلاء الباشوات الذين كانت سبل السفر مفتوحة أمامهم ..

وإنى لآسف لأن أجل عزت لم يسعفه فقد مات قبل أن تتم إجراءات سفره إلى أمريكا لعلاج مرضه " !!.



القوات اليهودية داخل المستعمرات التى أنشأتها على أراضى فلسطين المغتصبة !!

الفصل الرابع

عبد الناصر .. وعراق المنشية

ارتبطت قرية " عراق المنشية " باسم عبد الناصر .. ووضعت اسمه فى دائرة الضوء كجندى مقاتل يمتلك الشجاعة والتكتيك العسكرى واستطاع أن يقود الجنود المحاصرين لصد هجوم كاسح للمصفحات الاسرائيلية ويحقق الانتصار ويمنع التقدم اليهودى ويرفع من الروح المعنوية للقوة المحاصرة ..

وارتبطت عراق المنشية أيضاً بصورة اللقاء العفوى الذى تم بين عبد الناصر والكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل بعد انتهاء المعركة ووصفه الكاتب بأنه كان عاصفاً وغاضباً ولم يستغرق اللقاء دقائق ولكنه قدم " الضابط " للرأى العام وتحدث عنه بإستفاضة بعد أن تولى عبد الناصر السلطة .

كانت القوات الاسرائيلية قد انتهت يوم ٢٨ ديسمبر من احتلال العوجة واستطاعت أن تمزق شمل القطاع الثالث الذى يشمل قريتى العسلوج والعوجة وعبور الحدود المصرية لأول مرة والتقدم منها الى تقاطع أبو عجيلة والعريش ..

وفى نفس اليوم شنت القوات الاسرائيلية هجوماً كاسحاً على الكتيبة السادسة فى نقطة عراق المنشية بعد أن قصفتها الأسلحة الجوية والمدفعية واستطاعت القوات الاسرائيلية اختراق الخط الدفاعى المصرى فى موقع يسمى " تبة الشجرات الثلاثة " غرب بلدة عراق المنشية فى الساعة الواحدة صباحاً يوم ٢٩ ديسمبر بعد عملية ليلية استخدمت فيها السلاح الأبيض ، مما أدى إلى انسحاب السرية السودانية التى كانت تدافع عن هذه التبة إلى داخل البلدة .

وطلب الصاغ أ. ح جمال عبد الناصر أركان حرب الكتيبة السادسة المشاة من المدفعية المصرية قصف قوات العدو فى " تبة الشجرات الثلاثة " ولكن خسائر العدو

كانت محدودة.

ونظراً لعدم وجود قوة احتياطية للقيام بهجوم مضاد على الموقع الذى احتله اليهود - بسبب اتساع المواجهة وقلة عدد القوات - اضطر عبد الناصر الذى كان يقود المعركة إلى عمل تخفيف فى قوات الخط الدفاعى لإعداد قوة لشن هذا الهجوم المضاد .

وبرغم جهود عبد الناصر فى تجميع القوة ودفعها للهجوم لاسترداد تبة الشجرات الثلاثة إلا أن الهجوم المضاد فشل ، وواصلت القوة الاسرائيلية تقدمها داخل البلدة وتمكنت من احتلال القسم الأكبر منها ومن إنشاء مركز قيادة اسرائيلى ونقطة إسعاف طبية وأوشكت عراق المنشية على السقوط فى أيدى الإسرائيليين .

ويذكر الاميرالاى أ. ح السيد طه قائد قطاع الفالوجا فى مذكراته عن المرحلة الأولى من هذه المعركة :

" فى يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ بلغت وأنا فى مركز القيادة بنبأ مفاجىء . لقد هاجمت قوة يهودية منطقة عراق المنشية فى قطاع الفالوجا وسألت نفسى مندهشاً كيف هاجمونا ..

ولم ألبث أن تبينت خطة اليهود الجديدة . لقد عجزوا عن التغلب علينا مجتمعين متساندين فى خط دفاعنا القوى فرأوا الهجوم على كتائبى واحدة فواحدة حتى يتمكنوا فى النهاية من الاستيلاء على الفالوجا كلها ، وبعد ساعة تلقيت نبأ آخر .. لقد تم استيلاء اليهود على عراق المنشية وتركزوا فيها وأنشأوا بها مركز قيادة .

وفى حوالى الساعة الرابعة صباحاً اتصل الصاغ عبد الناصر بقيادة قطاع الفالوجا طالباً إرسال النجدة على وجه السرعة لخطورة الموقف ، ولم تكد تمر ساعة على طلبه حتى اتصل عبد الناصر للمرة الثانية وأفاد قيادة القطاع بأنه إن

لم تصل النجدة على الفور فسوف يفقد سيطرته على الموقف "

وكان الأميرالاى السيد طه قد أصدر أوامره بمجرد طلب عبد الناصر النجدة من الفالوجا بإعداد سرية مشاة من الكتيبة الأولى بقيادة الرائد عبد الستار مشعل وأن تتحرك على الفور إلى عراق المنشية لتعزيز قوة الكتيبة السادسة والاسهام فى استعادة الموقف هناك ، ولكن هذه السرية تأخرت فى الوصول نظراً لسيرها فى خور موحل مماعرقل سـرعة تحركها وجعل عبد الناصر ينتظر وصولها لفترة طويلة .

وفى هذا الوقت العصيب تطوع أحد الضباط الشجعان من قوة مدافع الماكينة بالفالوجا وهو الملازم أول وحيد رمضان للذهاب إلى ساحة القتال بعراق المنشية .

وتقدم إلى الضبع الأسود طالباً منه السماح له بالتحرك بحمالة مدرعة مع جماعة ماكينة فيكرز لخوض المعركة .

ونظراً للموقف البطولى الذى قام به وحيد رمضان لاستعادة الموقف وافق الضبع الأسود على تطوعه .

ويقول وحيد رمضان فى مذكراته ..

" تحركت بالحمالة المدرعة من الفالوجا حاملاً معى مدفعى ماكينة (فيكرز) وكان برفقتى الملازم ثان عبد المجيد شديد الذى تطوع للذهاب معى ولم يكن قد مضى على تخرجه فى الكلية الحربية سوى أربعة أشهر وقد خصصته للعمل على المدفع رقم ١ بينما خصصت الجاويش (الرقيب) الذى اخترته من سريتى للعمل على المدفع رقم ٢ وخصصت لكل منهما جندياً لإمداده بالذخيرة .

ومع أول ضوء يوم ٢٩ ديسمبر وصلنا الى عراق المنشية وتقدمت الحمالة المدرعة فى الشارع الذى كانت تتقدم فيه القوات اليهودية وهى فى طريقها إلى مركز قيادة الكتيبة السادسة لأسر القائد وأفراد رئاسته . وكان اليهود قد جلبوا

قوات جديدة بعد نجاح عملية الاختراق لتعزيز مواقعهم .

وكانت طليعتهم ترتدى ملابس الجنود المصريين القتلى وذلك إمعاناً فى التمويه والتضليل . ودارت بيننا وبين العدو معركة فدائية خاطفة انتهت بإبادة القوة اليهودية التى كانت متقدمة صوب مركز قيادة الكتيبة .

والتقيت بالصاغ جمال عبد الناصر فشرح لى الموقف وأكد لى ضرورة استعادة " تبة الشجرات الثلاثة " بأى ثمن لسد ثغرة الاختراق . وتقدمت بجماعة مدافع الماكينة فى وثبات فى اتجاه التبة بينما نيران مدفعى الماكينة تغمر التبة بصورة كاسحة ولم تمر ساعة حتى تم القضاء على العدو فى التبة وتم لنا استعادتها وإغلاق الثغرة .

وفى الصباح توالى وصول النجدات التى أرسلها قائد قطاع الفالوجا من الكتيبة الأولى المشاةإلى عراق المنشية ففى الساعة الثامنة والنصف وصلت ثلاث حمالات فقابلها الصاغ جمال عبد الناصر ووضع ثلاثة رشاشات برن فى كل عمالة وقد تعاونت هذه الحمالات مع عناصر من الكتيبة السادسة المشاة فى تطهير البلدة من الاسرائيليين خاصة الذين كانوا متحصنين داخل المبانى .

وفى حوالى الساعة الحادية عشرة وصلت سرية مشاة بقيادة الصاغ عبد الستار مشعل وهى السرية التى تأخرت فى الوصول بسبب تحركها فى أحد الخيران الموحلة وقد أمرها عبد الناصر فور وصولها باحتلال تبة الشجرات الثلاثة محل السرية السودانية ، وقد بلغ قتلى الاسرائيليين فى هذه المعركة ٢٥٠ قتيلاً وخمسة من الأسرى .

* * *

ويذكر الملازم أول وحيد رمضان فى مذكراته أنه قام بدوره البطولى وهو موقوف عن العمل ومحجوز فى ميس المدفعية بالفالوجا بأمر الأميرالاى أ. ح السيد طه قائد القطاع حيث كان يحاكم أمام مجلس عسكرى ميدانى برياسة

القائمقام مفيد رزق الله سوريال على جناية التمرد على قائده لأنه هاجم مخزن الحاكم الادارى للفالوجا بمدافع الماكينة واستولى على كمية من القمح بالقوة وقام بتوزيعها بدون أوامر على الجنود .

وقد شرح وحيد رمضان هذه الواقعة فى مذكراته وقال : إنه هجم على مخزن القمح الذى كان تحت اشراف ياسين الحمزاوى الحاكم الإدارى نظراً لما كان يعانيه جنود الخط الأول من حرمان بسبب نقص مايصرف لهم من تعيينات مما كان يخشى معه تمردهم على ضباطهم لذا قام هو بالاستيلاء على كمية من القمح باستخدام القوة وقام بتوزيعها على جنود الخط الأول ليصنعوا منها أرغفة العيش التى كانوا فى أشد الحاجة اليها .

ومن المعروف أن جناية التمرد على القائد فى الميدان عقوبتها الإعدام رميا بالرصاص .

ولكن إجراءات محاكمة الملازم أول وحيد رمضان أمام المجلس العسكرى الميدانى تم وقفها بأمر السيد طه نفسه عقب معركة عراق المنشية .

وعلى العكس بعث قائد الفالوجا ببرقية لاسلكية إلى اللواء أحمد فؤاد صادق القائد العام يطلب فيها ترقية الملازم أول وحيد رمضان ترقية استثنائية نظراً لما أبداه من شجاعة فى هذه المعركة .

وقد علق اللواء فؤاد صادق فيما بعد عن عدم تنفيذه هذا الطلب بقوله أن الحيرة قد أصابته بالنسبة لهذا الضابط فقد طلب منه السيد طه فى بادىء الأمر التصديق على الحكم بإعدامه وبعد بضعة أيام طلب منه ترقيته استثنائياً إلى رتبة اليوزباشى لهذا قرر عدم الاستجابة للمطلبين .

وقد بادر اللواء فؤاد صادق بعد علمه بتطورات معركة عراق المنشية بإرسال برقية لاسلكية فى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً يوم ٢٨ ديسمبر إلى

الأميرالاى السيد طه هنأه فيها على شجاعة قواته فى هذه المعركة مما أدى إلى اندحار الاسرائيليين وطردهم من عراق المنشية .

فى القاهرة كان الموقف مختلفاً كلية بعد أن أعطى الفريق محمد حيدر باشا تعليمات مشددة بمنع نشر أى أخبار عن معركة الفالوجا أو حرب فلسطين بصفة عامة واعتبرها سراً من الأسرار ..

وأسند الفريق حيدر باشا إلى ادارة الشئون العامة بالجيش - ومقرها العباسية - مسئولية مد الصحف بأخبار القتال .. كما رفض أن يصاحب الصحفيين القوات المحاربة فى فلسطين خشية فضح أسرار " التخلف العسكرى " والهزائم التى منيت بها القوات .

ورفض الكاتب محمد حسنين هيكل وكان يعمل مراسلاً لأخبار اليوم هذه التعليمات وصمم على التسلل إلى أرض المعركة بوسائله الخاصة عن طريق قيادات ..ات المتطوعين ..

ووصل هيكل - كما يذكر فى رواياته المتعددة عن لقائه بعبد الناصر – وحدد بدايتها فى لقائه بعراق المنشية بعد انتصار القوة المصرية على اليهود ..

ووصف هيكل اللقاء الأول فى عراق المنشية بأنه كان مشحوناً .. والضابط مرهق رافضاً الكلام .. مهاجماً كل ما يكتب عن المعركة .. وفى مقدمتها كتاباته .. أى هيكل ..

و ذكر أن لقاءاته بعبد الناصر تكررت أثناء المعارك فقد كان يواظب على لقائة فى كل زياراته للجبهة .. وأنه ابدى له بعدها اعجابه بكتاباته بعد مباحثات وقف النار بقصر شاتيو بباريس ..

الفصل الخامس

هروب فى الظلام ..

لم يصدق الملك فاروق أن ثلث الجيش سقط فى حصار الفالوجا .. ولم يعترف بأى أخبار تصله عن الهزائم التى منيت بها القوات الملكية على أرض فلسطين .. فكان ينظر للجيش نظرة مقدسة .. ويعتبر دخوله الحرب مكسباً ذاتياً له يمتص الأخطار التى تحيط به داخلياً ويزيد من منافعه الشخصية من عوائد التسليح كما ذكر أعداءه بعد قيام حركة الجيش عام ١٩٥٢ ..

وكان الملك مؤمناً بأن الجيش سينتصر فى النهاية ويضع ثقته فى وزير الحربية الفريق محمد حيدر باشا ضابط السجون السابق الذى تحول إلى قائد للجيش يضع خطط الحرب والانتصار ..

وبالرغم من عدم خبرة حيدر باشا وجهله الواقعى بكثير من فنون الحرب فقد أرسل إلى الجنرال البريطانى جلوب باشا قائد الجيش الأردنى فى عمان رسالة يطلب منه فيها وضع خطة لإنسحاب القوة المحاصرة من الفالوجا !!

ووضع القائد البريطانى جلوب باشا خطة غاية فى الغرابة لإنقاذ القوة المحاصرة ظاهرها المساعدة .. وباطنها إبادة القوة المصرية عن آخرها .. وكاد يتحقق هدف الجنرال العجوز لولا عناية الله ..

كانت الخطة تقضى بتسلل أفراد القوة المحاصرة إلى خارج نطاق الحصار تحت الظلام فى اتجاه مدينة الخليل عبر المواقع الاسرائيلية أو الدروب التى يجهلها اليهود و حددها ضابط استطلاع بريطانى فى الجيش الأردنى يدعى (لوكيت) .. بشرط أن تترك القوة أسلحتها الثقيلة والمعدات والمركبات وراءها ونسفها بعد تجميعها فى مكان معين ..

وكلف الاميرالاى أ. ح سعد الدين صبور قائد سلاح الفرسان ورئيس هيئة المستشارين العسكريين بالقيادة المصرية فى عمان بدراسة خطة جلوب لفك حصار الفالوجا عن طريق تسلل أفراد القوة المحاصرة مشياً على الأقدام تحت ستر الظلام عبر طرق ودروب سرية يجهلها الاسرائيليون بعد أن أدرك العميد صبور اليأس من إمكان فك حصار الفالوجا بالقوة ..

ويصف الاميرالاى صبور فى مذكراته :

كان الاسرائيليون يركزون هجماتهم المتواصلة ليلاً ونهاراً على المواقع المصرية فى قطاع الفالوجا مستخدمين المدفعية والدبابات والطائرات لإجبار الحامية المصرية المحاصرة من جميع الجهات على الاستسلام ..

تنبأ الاميرالاى صبور بفشل خطة جلوب فى تهريب القوة المحاصرة لعجزه عن تدبير القوة العربية الضاربة التى فى إمكانها شق الطريق عنوة من المواقع العربية غرب نهر الأردن إلى قطاع الفالوجا لتهيئة السبيل أمام القوة المصرية المحاصرة داخل القطاع للانسحاب شرقاً تحت ستر هذه القوة العربية للانضمام إلى الدفاعات المصرية فى الخليل وبيت لحم ..

وكان سبب الفشل يرجع لضعف إمكانات الجيوش الأردنية والسورية والعراقية وعدم توافر قوات احتياطية لديها يمكن الاستغناء عنها للاشتراك فى خطة الانقاذ

وركز الاميرالاى صبور جهوده فى عملية إمداد حامية الفالوجا بما يحتاج اليه أفرادها من أطعمة وأدوية ومعدات طبية وذخائر كانوا فى أشد الحاجة اليها ، وكانت هذه المؤن والامدادات التى تنقلها طائرات النقل المصرية من طراز (كوماندو) إلى عمان ولم يكن فى الإمكان نقلها إلى الفالوجا المحاصرة إلا عن طريق التسلل بها خفية فى قوافل كبيرة عبر طرق ودروب سرية خلال ساعات الظلام بعيداً عن المواقع والدروب الاسرائيلية المنتشرة حول الدفاعات المصرية فى

عراق المنشية والفالوجا ..

وعلى الرغم من الأخطار والصعاب الجسيمة التى اكتنفت عملية إرسال قوافل الإمدادات إلى عراق المنشية ومنها إلى الفالوجا فقد نجح الاميرالاى صبور ومساعدوه من ضباط القوة الخفيفة والمتطوعين المتمركزين فى الخليل وبيت لحم فى إعداد وإرسال عدة قوافل تضم أعداداً كبيرة من الجمال والبغال لتحميلها بالمؤن والامدادات .

وكانت مسئولية التسلل بهذه القوافل عبر الطرق والمسالك السرية موكولة إلى نفر من الأدلاء الفلسطينيين ممن لديهم خبرة جيدة بالأرض ..

وقد تولى اليوزباشى معروف الحضرى الضابط الشجاع قيادة القوافل والوصول بها سالمة إلى عراق المنشية والفالوجا ..

وكانت قوافله تذهب بالإمدادات والمؤن الى القوة المصرية المحاصرة هناك ثم تعود بالجرحى والمصابين إلى بيت لحم حيث يتم نقلهم إلى القاهر للعلاج بالمستشفيات العسكرية ..

وقد أسهمت قيادة القوات المصرية فى فلسطين بدورها فى عملية تزويد قوة الفالوجا ببعض احتياجاتها من مؤن غذائية وطبية وذخائر عن طريق تموينها فى بادىء الأمر من الجو بطائرات السلاح الجوى المصرى ..

ونظراً للصعاب التى اكتنفت عمليات التموين من الجو بسبب سوء موقف الطيران المصرى فقد اتجه تفكير القيادة المصرية إلى إرسال بعض القوافل من غزة لنقل المؤن والامدادات المصرية على ظهور الجمال والبغال إلى الفالوجا عن طريق تسللها عبر بعض الدروب والمسالك السرية غير المطروقة ..

وقد روى الاميرالاى أ. ح السيد طه قائد الفالوجا فى مذكراته قصة طريفة عن وصول إحدى القوافل القادمة من غزة إلى قوته المحاصرة فقال :

اللحم لم يذقه جنودى منذ زمن طويل . لقد اشتد شوقهم إليه ومنشورات اليهود كلها إغراء بالطعام الشهى . وهاهى ذى قافلة سرية تصل بعد جهد تحمل إلينا من غزة سلاحاً وأدوية وطعاماً ولكن لم يكن فيه لحم . قلت للأعراب الذين يقودون جمال القافلة .. سأستولى على هذه الجمال واعطيكم ايصالات تثبت أننى أخذتها وكانت ٥٢ جملاً .

وقد تلقى الأعراب هذا الأمر مندهشين قائلين (كلها) قلت (كلها) واستوليت على الجمال وأمرت بذبحها جميعاً فذبحت فى الحال واجتمع جنودى حول جبال من اللحم فأتوا عليها وهم يهللون ويغنون ويرقصون وكنت أنظر إلى وجوههم فإذا بها تلمع من فرط السرور وكان ذلك اليوم بالنسبة لنا يوم عيد " .

* * *

استمر الحال أياماً طويلة حتى فوجىء الاميرالاى صبور بوصول برقية من القاهرة بالموافقة على تنفيذ الخطة دون الالتفات إلى ضرورة إخطار اللواء أ. ح أحمد فؤاد صادق القائد العام بفلسطين بهذه الاتصالات المتبادلة بين عمان القاهرة بشأن هذه الخطة برغم أنه كان المسئول الأول عن جميع القوات المصرية لموجودة على الأراضى الفلسطينية ، ودون الاهتمام بالتشاور مسبقاً مع السيد طه باعتباره القائد المحلى لمجموعة لواء الفالوجا التى وضعت الخطة (دمشق) خصيصاً لسحبها ..

وامتثل الاميرالاى صبور للأمر وسط علامات الانزعاج التى سيطرت عليه .. وأمر بالتنفيذ رغم التحفظات التى وضعها عندما تم تسليمها من الجنرال جلوب ..

وبدأت المراحل العملية لتنفيذ الخطة (دمشق) يوم ١٩ نوفمبر ١٩٤٨ فقد قام معروف الحضرى بقيادة قافلة إمدادات كبيرة تم تجهيزها فى بيت لحم ووصل بها إلى بلدة الظاهرية وكان معظم حمولة القافلة من المواد الغذائية والمؤن الطبية والذخائر التى سبق لطائرات النقل المصرية من طراز (كوماندو) إحضارها من

القاهرة ، وقد تم تحميلها على ٤٥ جملاً وعدد من الخيول والبغال ..

وعقب الوصول الى الظاهرية أصدر معروف تعليماته إلى جماعة المتطوعين الذين كانوا يشرفون على القافلة ببقائها فى مكانها لحين صدور الأوامر إليهم بالتحرك من الظاهرية إلى عراق المنشية بعد الانتهاء من استطلاع وتأمين الطرق .

وفى مساء اليوم نفسه وبعد حلول الظلام التقى معروف الحضرى فى نقطة المقابلة المتفق عليها بالقرب من الظاهرية بالجماعة المسئولة عن استطلاع الطريق وكانت مكونة من الرائد البريطانى لوكيت قائد القوة الأردنية فى (ترقوميا) التى تقع غرب الخليل وصول بريطانى (مساعد) يعمل بالجيش الأردنى وضابط صف أردنى مزود بجهاز لاسلكى علاوة على بعض الأدلاء الفلسطينيين ممن لهم خبرة جيدة بالأرض ..

وفى أثناء تحرك جماعة الاستطلاع فى اتجاه المواقع المصرية بقطاع الفالوجا نجحت الجماعة فى الاتصال لاسلكياً بقيادة عراق المنشية حيث أخطرتهم بتحركها فى اتجاههم . وكان الاميرالاى صبور قد أرسل قبل تحرك جماعة الاستطلاع اشارة لاسلكية إلى قيادة قطاع الفالوجا أخطرهم فيها بموعد وصول الجماعة إلى عراق المنشية وأن كلمة السر هى (معروف) وطلب إخطار جميع المواقع الأمامية بذلك حتى لاتتعرض الجماعة لإطلاق النار عليها .

وفى الساعة الرابعة صباحاً يوم ٢٠ نوفمبر وصلت جماعة الاستطلاع سالمة إلى نطاق الاسلاك الشائكة بالمواقع الأمامية فى عراق المنشية حيث تم فتح فجوة فى الأسلاك لمرورها إلى الداخل . وبادر اليوزباشى معروف عقب الوصول بالاتصال لاسلكياً بقيادة القوة الخفيفة فى بيت لحم لتقوم بإخطار العميدصبور بوصول الجماعة سالمة .

وفى مركز قيادة الكتيبة السادسة مشاة فى عراق المنشية التقى معروف

والرائد البريطانى لوكيت وباقى أفراد جماعة الاستطلاع مع القائمقام حسين كامل قائد الكتيبة السادسة وأركان حربه الصاغ أ . ح جمال عبد الناصر اللذين رحبا بهم وأمر بتهيئة كل وسائل الراحة لهم .

وتوجه معروف ولوكيت بعد ظهر يوم الوصول نفسه وهو ٢٠ نوفمبر فى سيارة مدرعة إلى بلدة الفالوجا حيث كان الاميرالاى السيد طه فى انتظارهما فى مركز قيادته وبرفقته قادة كتائبه الثلاثة العقداء عزيز حيدر قائد الكتيبة الأولى وأحمد توفيق قائد الكتيبة الثانية وحسين كامل قائد الكتيبة السادسة وعدد من ضباط قيادة اللواء كان من بينهم المقدمان رزق الله عطية رزق الله وزكريا محيى الدين والنقيب صلاح سالم .

وبادر معروف بتسليم المظروف السرى الذى أرسله معه العميد سعد الدين صبور إلى الأميرالاى السيد طه وكان يحوى تفاصيل الخطة المقترحة (دمشق) لسحب قوات الفالوجا . وطلب السيد طه من معروف ولوكيت أن يغادرا غرفة لاجتماع لكى يختلى بقادة كتائبه وضباط أركان حرب اللواء لدراسة خطة الانسحاب التى يقترحها جلوب .

وقال السيد طه لمعروف .. إنه بعد التشاور مع قادة كتائبه وضباط أركان حرب اللواء استقر رأيهم جميعاً على رفض هذه الخطة المشبوهة التى تعرض قوات الفالوجا بأجمعها للإبادة أو الأسر مما سوف يلحق بالجيش المصرى كارثة مروعة وهزيمة منكرة ..

وكانت دهشته بالغة عندما علم أن القائد العام لم يكن لدية أية معلومات بشأنها وأخطر السيد طه اليوزباشى معروف أنه أرسل مضمون الخطة فى اشارة لاسلكية إلى القائد العام فى غزة وأنه فى انتظار قراره النهائى بشأنها .

الفصل السادس

لقاءات على السلك الشائك

تعددت الحكايات حول لقاءات عبد الناصر واليهود أثناء حصار الفالوجا .. وتحولت الى شريط سينمائى وقائمة اتهام يروى فيها كل من هب ودب قريب وبعيد قصة مختلفة عن هذه اللقاءات .. البعض منها مثير .. والآخر مختلق .. والثالث وراؤه قصد وغمز ولمز واتهام صريح بأن عبد الناصر كان عميلاً لاسرائيل .. والرابع مد خيوط السلام مع الدولة العنصرية ونسجه على حائط السلك الشائك فى القرية المحاصرة .. واستمر فى نسجها حتى اكتمل الثوب فى كامب ديفيد عام ١٩٧٧ على يد السادات .. والخامس امتشق ناصية البحث والتنقيب عن هذه العلاقة منهم إرتدى صفة " أبو العريف " وأخذ يروى .. ويروى ..حتى صدق نفسه والآخر هيأ لها السيناريو والمشاهد لتبدو حقيقة وواقعاً يدين الزعيم .

والحقيقة التى حاولت العثور من بين طياتها على أسرار هذه المباحثات .. أو المفاوضات .. أو اللقاءات .. أو .. أو تشير إلى أن المفاوضات أو على وجه الدقة " الاتصالات " التى تمت فى اجتماعات ثنائية أو ثلاثية مع العدو كانت أمراً عادياً جداً فى حينه يعقدها ضباط إتصال من الجانبين لمناقشة بعض الأمور التى تتصل بظروف الحرب يتفقون ويختلفون .. وتدور عجلة المعارك أو تقف وفقاً للنتائج التى يتوصلون اليها .. يختار لها أفراد ذوو وطنية وحنكة ودهاء ليحقق كل طرف مكسباً لجانبه .

واتصالات عبد الناصر مع اليهود كانت صورة من هذه الأمور العادية رغم كل ماارتبط بها من قصص وحكايات .. واشاعات .. وصورت على أنها خيانة .. وتجسس ... و.. و ..

والحقيقة تؤكد أن لقاءات تمت بين ضباط مصريين منهم عبد الناصر واسرائيليين بدأت فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٨ إبان حصار الفالوجا بناء على طلب الاسرائيليين وكان الهدف منها إغراء الضباط المصريين بقبول الاستسلام وليبينوا لهم موقفهم الميئوس منه حفاظاً على حياتهم وحياة جنودهم .

وتعددت اللقاءات أكثر من مرة .. وكان يمسك بجانب منها الصاغ جمال عبد الناصر باعتباره ضابط إتصال القوة المحاصرة وإشترك معه فى اللقاء الأول قائد الفالوجا الضبع الأسود الاميرالاى السيد طه .

أما ماذكر بعد ذلك من علاقات وثيقة جداً كانت موجودة بين عبد الناصر وقادة اسرائيل قبل هذا اللقاء وتمتد الى فترة حياته فى حى اليهود فى القاهرة .. وأنه استغلها بعد ذلك .. فليست إلا وجهات نظر ذكرها مروجوها ومنهم اثنان من الضباط الأحرار ممن شاركا فى حرب فلسطين وكانا ضمن قوة الحصار وأقصد بهما السيد حسن التهامى وابراهيم بغدادى .

تبدأ سطور الحقيقة كما ذكرها الصاغ جمال عبد الناصر - نفسه - فى مذكراته الشخصية .. التى كتبها بعد الحرب وتطرق لوقائع هذه اللقاءات .

قال جمال عبد الناصر عن اللقاء الذى تم بينه وبين الضابط الاسرائيلى (كوهين) يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٤٨ مايلى :

" فى الصباح بدأت مرحلة جديدة من حرب الأعصاب .. جاءنى أحد الجاويشية (الرقباء) يقول إن سيارة مدرعة رافعة راية بيضاء وعليها ميكرفون يصرخ بأعلى صوته : ضابط اسرائيلى يطلب مقابلة ضابط مصرى ..

وركبت سيارة جيب وطرت الى هذا الموقع ، وإذا السيارة واقفة والراية البيضاء ترفرف فوقها والميكرفون مازال يصيح : ضابط اسرائيلى يريد مقابلة ضابط مصرى ..

وقررت أن أذهب بنفسى وطلبت من جنودنا أن يرفعوا البوابة التى تسد الطريق أمام مواقعنا ثم قفزت إلى سيارة جيب كما أنا ..

كنت مرتدياً بنطلوناً عسكرياً (وبول أوفر) من الصوف الكاكى اللون . وقفز معى إلى الجيب اثنان من زملائنا الضباط وجاء معنا جاويش يمسك مدفعاً من مدافع (التومى) وانطلقت بالجيب بأقصى سرعة على الطريق فى المنطقة الحرام بيننا وبين العدو فى اتجاه المدرعة التى ترفع العلم الأبيض وتطلب بأعلى صوتها ضابطاً مصرياً لكى يقابل ضابطاً اسرائيلياً .

كان الجو غريباً مثيراً وكانت مشاعرى وأنا منطلق بالسيارة الجيب على الطريق متباينة . هاهى ذى إحدى مدرعات العدو أمامنا تطلب واحداً منا وهاأنا ذا منطلق اليها لأقابل أحد الضباط الذين كنت أجاهد لقتلهم ، وكان هو أيضاً من ناحيته يجاهد لقتلى .

وكان موقفنا - كما أعلم - حصاراً كاملاً وناراً لاتهدأ ودبابات وطيارات ومنشورات أيضاً . وكان الصمت على الطريق كاملاً إلا دوى محرك الجيب .

وأوقفت السيارة الجيب فى محازاة مدرعة العدو التى أطل راكبوها من ضباط العدو علينا وفى عيونهم دهشة ، ثم استجمع واحداً منهم كبرياءه وشد رأسه فى عنجهية مكشوفة وقال بالانجليزية : أنا المساعد الشخصى للقائد العام لهذا القطاع وأنا مكلف بأن أشرح لكم موقفكم من كل ناحية ونحن نطالبكم بالتسليم ..

وقلت فى هدوء ، وقد نزلت على أعصابى سكينة غريبة : أما الموقف فنحن نعرفه جيداً ولكن الاستسلام لن يحدث - ثم قلت دون أن تختلج فى صوتى نبرة : نحن هنا ندافع عن شرف جيشنا .

وبدأ يتكلم بالعبرية وأحد مرافقيه يترجم ، ثم عاد يتكلم بالانجليزية ، ثم تنازل عن كبريائه وبدأ يتكلم بالعربية وهو يشرح لنا الموقفَ حولنا .

وقلت له : إنك تحاول عبثاً ونحن نرفض الاستسلام – وحملق فى وقال فى استنكار : ألا ترجع إلى قائدك تسأله ؟

وقلت له : هذا موضوع ليس فيه مجال لسؤاله .

وساد الصمت بعض الوقت وهو ينظر الينا ونحن ننظر إليهم .

وفجأة بدأ قناع الكبرياء الموضوع على وجهه كله يرتفع وقال فى صوت خافت مؤدب : لنا طلب إنسانى عندكم .

قلت – وماهو ؟

قال : نريد أن نسحب جثث قتلانا عندكم فى المعركة السابقة .. إنك تعرف أن أهل القتلى عندنا يحبون الاحتفال بدفن أبنائهم فهل تمانعون ؟

ونظرت إليه وصوته الخافت المؤدب يثير فى أعماقى شعوراً بالراحة والرضاء وقلت : نحن نوافق لكم على هذا الطلب الإنسانى .

وحين عدنا إلى مواقعنا مرة أخرى عبر الطريق كانت السيارة الجيب الصغيرة التى كنا فيها تضج بالضحك والمرح .. كنا نقارن بين بداية المقابلة ونهايتها .. العنجهية والكبرياء عند طلب التسليم والأدب والحياء عند طلب جثث القتلى ..

هكذا ذكر الصاغ جمال عبد الناصر تفاصيل لقاءه بالضابط اليهودى ..

" ومرت سنوات وروى الضابط اليهودى يروهام كوهين حكاية اللقاء الأول مع عبد الناصر من وجهة نظره بعد ما اكتشف أن الضابط المصرى الذى لقيه عام ١٩٤٨ لم يكن إلا قائد الثورة المصرية بعدها بأربع سنوات .

يقول يروهام كوهين :

" فى نوفمبر عام ١٩٤٨ ، كانت القوة المصرية محاصرة فى المنطقة المحيطة بقرية الفالوجا وكان موقف هذه القوة ميئوساً منه خاصة بعد أن تمكنت قواتنا من الأستيلاء على نصف هذا " الجيب " الذى كانت تحرسه القوات العراقية والسعودية

ولم يكن يبقى على تسليم القوة المصرية غير مسألة الزمن .

" والواقع أن الزمن كان يعتبر عنصراً هاماً من عناصر الحرب .. ففى الوقت الذى لم يعد فيه هذا " الجيب " يمثل خطراً كبيراً كان نفسه يحجز قوة مصرية كبيرة ، يمكن استعمالها فى مكان آخر .

وكان القتال العنيف الدائر حوله يكلف الكثير من الأرواح . وبدأ وكأن الوقت أصبح صالحاً للمفوضة مع هذه القوة المصرية المحاصرة .

" وبناء على هذه النظرية كلفنى " ايجال آلون " قائد القطاع الجنوبى بأن أتطوع للذهاب الى الخطوط المصرية لترتيب مقابلة بين الجانبين " .

وأخذت أهبتى من معدات الاشارة والرايات البيضاء وتوجهت فى اليوم التالى فى حذر شديد نحو الخطوط المصرية وقد أعددت نفسى لكل مفاجأة ، وسرعان ماكنت قريباً من هذه الخطوط واستطاع صوتى أن يصل الى المصريين .

" ضابط اسرائيلى يريد أن يقابل ضابطاً مصرياً " .

ومضى نصف ساعة كأنه دهر كامل . وعلى حين فجأة رأيت من خلال منظارى الكبير ثلاثة أشباح تخرج من قرية " عراق المنشية " فأخذت طريقى نحوهم دون أية إشارة ، وأنا أتوقع فى كل دقيقة سيلاً من رصاص المدافع الرشاشة ينهى هذا الحادث الفريد فى معركة الفالوجا .

وسرعان مااقتربت منهم واستطعت أن أتحقق من أحدهم برتبة صاغ فى الجيش المصرى ، واقتربت منهم أكثر فأكثر .. ثم اديت التحية .

وبعد تبادل عبارة " صباح الخير " التقليدية ، وتقديم كل منا نفسه للآخر ، علمت أن اسم هذا الصاغ هو جمال عبد الناصر .

لم يكن من السهل على فى مبدأ الأمر أن اتبادل الحديث سهلاً بسيطاً مع هؤلاء الرجال الذين كنت أعمل جاهداً منذ ساعة واحدة فى سبيل قتلهم جميعاً .

ومن جانبه بدا جمال عبد الناصر صارماً ، غير مرحب بمهمتى ، وبالرغم من أنه كان يشك كثيراً فى مهمتى فقد كان عليه أن يرسل أحد زميليه الى الفالوجا لنقل رسالتى الى القائد السيد طه .

كان على السيد طه أن يحصل على موافقة قيادته العامة ، التى قبلت الأمر على أنه إجراء ضرورى لإفساح المجال لرجال الصليب الأحمر لإخلاء الجرحى .

فى اليوم التالى تم اللقاء بين قائد الفالوجا السيد طه وايجال آلون وتتضمن أوراق الحرب الاسرائيلية محضر اللقاء على النحو التالى :

آلون : كولونيل ، اسمح لى أن أعبر عن اعجابى بالقوة القتالية لجنودك الشجعان .. لقد كلفنا حصن عراق سويدان مجهوداً كبيراً وإن لم يكلفنا ضحايا كثيرة .

السيد طه : شكراً جزيلاً ياسيدى ..

آلون : اليست هذه مأساة أن نرى الجانبين اللذين لايوجد هناك أى داع قتتالهما وهما يقتتلان بلا رحمة ؟

السيد طه : هذه هى حال الدنيا .. إنه القدر ياسيدى ولا مفر منه .

آلون : آمل أن تدرك أن الحرب فرضت علينا ، فهى تدور على أرضنا وليس فى مصر .. اعتقد أن المعركة حسمت ومن الأفضل وضع حد للحرب .

السيد طه : إننى كضابط مصرى ليس أمامى سوى تنفيذ أمر حكومتى .

آلون : يجدر أن تنتبهوا الى انه بينما معظم جيشكم مشغول بحرب لا أمل فيها فى أرض اسرائيل فإن بلدكم بالذات يسيطر عليه الجيش البريطانى الذى تخلصنا منه قبل فترة وجيزة .. الا تعتقد انكم وقعتم فى مكيدة استعمارية أجنبية .

السيد طه : لقد فعلتم أمراً مدهشاً بطردكم البريطانيين وعما قريب سنخرجهم من مصر أيضاً ..

آلون : لكن .. كيف تطردونهم اذا كان جيشكم عالقاً هنا بعد هزيمة كبيرة وعشية هزيمة نهائية ، الا تعتقد أن من الأفضل لكم أن تعودوا الى مصر وتهتموا بشئونكم بدلاً من أن تتورطوا في مغامرات في أرض ليست لكم ؟

السيد طه : مادامت حكومتي تأمرني بالقتال هنا سأقاتل . وعندما تأمرني بعقد سلام أعقده . وإذا أمرتني بالعودة الى مصر ومحاربة البريطانيين فسأفعل ذلك بكل سرور كما ينبغي .

آلون : أنا اقدر جداً امتثالك للأوامر ياكولونيل هذا هو طريق الجندى ، وأنا أيضاً أخضع لأوامر حكومتي دون تردد ، لكن رغم ذلك يبدو لي أن من واجبك كقائد ، أن تطلع رؤساءك وتبرهن لهم ان هذه حرب لا أمل فيها .. وهذا لايتعارض مع الانضباط .

السيد طه : نعم يا سيدى .. لكن مادام عندى جنود وذخيرة فليس هناك سبب لأن اكف عن القتال .

آلون : أنا أحترم شجاعتك جداً أيها الكولونيل ، ولكن الا تعتقد أن حياة الرجال غالية وأنه من الطبيعي الا تضحى برجالك في حرب مع شعب لايرى نفسه عملياً عدواً لكم ونواياه طيبة تجاهكم . إنني لا أعرض عليكم استسلاماً مذلاً بل أعرض استسلاماً بشرف من خلال الاحترام العسكرى والتقدير الكامل مع إمكان العودة الفورية للوطن .. فكر في الموضوع ودعنا نصون جنودنا ونوقف الاقتتال .. إنني لا أستطيع الكف عن القتال مادام على أرضنا جيش أجنبي ، لكنك لاتقاتل على أرضك . وسترى بالتالي أني على حق .

السيد طه : سيدى ، لاشك أن وضعك أفضل من وضعي وأنا لا أستطيع أن أخدع نفسي بأنني استطيع الصمود لأغير ميزان القوى وانقذ الوضع على جبهتنا .. لكن هذا لايمنع أن في استطاعتي أن أنقذ شيئاً واحداً هو شرف الجيش

المصرى ، ولذا سأحارب هنا حتى الرصاصة الأخيرة والرجل الأخير الا إذا تلقيت أمراً مغايراً من حكومتى .

آلون : إنى كجندى أفهمك جيداً ، لكن عليك أن تدرك أنه فى ظروف استثنائية ينبغى للقائد فى الموقع أن يأخذ على عاتقه المسئولية بالنسبة الى القرارات مثلما فعل فون باولوس ، صدقنى يا كولونيل أن حكومتك ليست جديرة بأن توجه ضابطاً شجاعاً مثلك ، فكر فى مصلحة جنودك ومصر ودع السلاح جانباً .

السيد طه : كلا يا سيدى ، ليس أمامى سوى طريق الحرب .. وبالتأكيد أنت تدرك أننى بذلك أنقذ شرف الجيش المصرى .

وأحس ايجال آلون بأنه يناطح الصخر .. وانتهى الاجتماع بالفشل .. عادت المدافع للانطلاق من جديد .

وحسب نفس المصدر " ص٣٣١ – ٣٣٤ من النص العبرى للمباحثات " لم يقل ال عبد الناصر كلمة واحدة فى هذا اللقاء .. وإن كان الضابط الاسرائيلى وهام كوهين قد أضاف : أنه " بدت على ملامح وجه جمال عبد الناصر الذى كان يتابع الحوار طوال الوقت بإهتمام خاص " ردود فعل شديدة اليقظة " .

* علَى الجانبْ الآخرْ تروى أحداث الحصار التى ذكرها قائد الكتيبة الأولى القائمقام عزيز حيدر رؤية أخرى تبدو أكثر اقناعاً واقتناعاً .. ولابأس من ذكرها كما رويت حتى ولو كانت مكررة .. يقول القائد :

" فى الساعة ١٥٠٠ يوم ١٠ نوفمبر ١٩٤٨ تقدم ضابط من العدو يحمل علماً أبيض الى قطاع بلدة عراق المنشية فقابله الصاغ أ. ح جمال عبد الناصر أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة خارج الدفاعات المصرية ..

وقال الضابط اليهودى أنه موفد من قبل قائده ليعرض على القوات المصرية التسليم لوجودهم محصورين فى نطاق ضيق طوله ٧ كيلو مترات وقد انفصلوا

نهائياً عن جيشهم وبلادهم .

وأنه - أى الضابط الاسرائيلى - يطلب من قائد القوة المصرية تحديد مكاناً أو ميعاد لمقابلة قائده .. للتفاهم فى الموقف وفى التسليم .. وقد أبلغ " الصاغ جمال عبد الناصر " هذه الرسالة الى القائمقام " السيد محمود طه " بصفته قائداً للقوة المصرية الذى أجابه بأن عليه أن يبلغ العدو الآتى ..

إن القائد المصرى لايرى بأسأمن مقابلة القائد اليهودى للتفاهم بشرط ألا يكون التسليم موضوعاً للحديث أو المقابلة "

وحدد الضابط اليهودى الساعة ١٥٠٠ (الثالثة بعد الظهر) من اليوم التالى للمقابلة ..

وحدد قائد القوة المصرية مستعمرة " جات " اليهودية مكاناً للمقابلة ..

وفى هذه المقابلة التمهيدية سلم الضابط اليهودى الى الصاغ أ. ح جمال عبد الناصر " خطابين من اليوزباشى صلاح بدر الذى أخذ أسيراً من " عراق سويدان " فى معركة اليوم السابق .

وكان الخطابان أحدهما موجهاً الى زوجة اليوزباشى بدر والآخر لوالدته وذلك تدليلاً على حسن معاملتهم للأسير بالسماح له بإرسال خطابات لأهله ..

كما أبلغه أن حالة الجرحى لابأس بها وأن كان بعضها سيئاً ..

وعلى أثر المقابلة التمهيدية هدأ العدو هدوءاً تاماً فلم تطلق قذيفة واحدة من جانبه انتظاراً للقاء اليوم التالى بين القادة ..

وفى الساعة ١٥١٥ من اليوم التالى (الثالثة والربع بعد الظهر) شكل وفد المباحثات من أ. ح السيد محمود طه قائد قوة الفالوجا ومعه البكباشى أ. ح رزق الله عطية من الكتيبة الأولى مشاة .. والصاغ أ. ح جمال عبد الناصر . من الكتيبة السادسة مشاة .. والملازم أول ابراهيم بغدادى من الكتيبة الأولى مشاة والملازم أول

خليل ابراهيم من الكتيبة الأولى مشاة ..

وكانت صفة الضابطين العظيمين (عبد الناصر وعطية) يمثلان أركان حرب القوة أما الثالث (بغدادى) فكان ضابط مخابرات والرابع (خليل) مرافقاً للقائد العام (السيد طه) .

وقد ركب الوفد المصرى سيارتين جيب رفعت عليها الأعلام البيضاء فى طريقهم لمقابلة القائد اليهودى بناء على طلبه فى مستعمرة " جات " ..

وما إن رأى الجنود المصريون قائدهم السيد طه يخرج بسيارة عليها العلم الأبيض حتى تبادر الى عقولهم انه خرج للتسليم وابدوا استياءهم واحتجاجهم .. ولكن الضباط أفهموهم أن هذه المقابلة والمفاوضات بين الطرفين تتم فى كل الجيوش .. وليس منها أى خطورة عليهم ..

واتخذ القائد السيد طه كل الاحتياطات لمواجهة أى مفاجآت غادرة من العدو فاتفق مع ضباطه قبل الخروج على شفرة خاصة وتوقيع " خاص " لأى رسالة قد يضطر القائد لإرسالها أو أجبر على إرسالها ..

كما اتفق على موعد للعودة فإذا لم يعد القائد فى الوقت المحدد توجه مدفعية الفالوجا نيرانها على مستعمرة جات لتدميرها تدميراً كاملاً ..

وما إن وصلت السيارتان " الجيب " المقلتان للقائد المصرى ومن معه من الضباط الى منتصف المسافة بين المواقع المصرية بعراق المنشية واليهودية حول مستعمرة جات حتى قابلتهما سيارة العدو وبها ضابط " يهودى " برتبة يوزباشى ومعه اثنان من الجنود ..

وأدي اليوزباشى اليهودى التحية الواجبة ثم صحبهم الى المستعمرة فدخلوها من الخلف .

والتقى القائدان المصرى والاسرائيلى .. ومعهما أعضاء كل فريق .

وحيا القائدان المصرى والاسرائيلى بعضهما وقدم كل منهما ضباطه للآخر للتعارف .. وبدأ القائد الاسرائيلى المفاوضات بشكر قائد الفالوجا على اجابة طلبه وبإلقاء كما أثنى على شجاعت وشجاعة جنوده بصفة خاصة وشجاعة الجيش المصرى بصفة عامة ثم شرح القائد الاسرائيلى الموقف عامة . وموقف قوات الفالوجا بعد انسحاب الجيش المصرى من " المجدل " واسدود وذكر أن أى مساعدة لنجدتهم بعيدة بل مستحيلة .. وأن القائد الاسرائيلى لايرى نتيجة لبقاء قوات الفالوجا فى مواقعها الا الفناء أو التسليم فى النهاية .

وأنه يرى حقناً للدماء من الجانبين اعلان الجانب المصرى للتسليم ..

واجابه قائد الفالوجا بأنه لم يحضر ليناقش موضوع التسليم لأن تصميم قوات الفالوجا هو الدفاع لآخر طلقة وآخر رجل .. وأنه مستعد للمناقشة فى موضوع السماح لقوات الفالوجا بالانسحاب الى غزة أو رفح ..

ولكن القائد الاسرائيلى رفض الموافقة على هذا الطلب مالم تخرج الجيوش المصرية من فلسطين كلها ..

كما رفض السماح بمرور الجرحى للخطوط المصرية قائلاً " إننى مستعد لعلاجهم فى يافا أو تل أبيب على أن يكونوا أسرى حرب بعد شفائهم " ..

ورفض قائد الفالوجا العرض الاسرائيلى ..

وأعاد القائد الاسرائيلى ثناءه على شجاعة الجنود المصريين فى " عراق سويدان " ذاكراً أن " دفاعهم " كان أقوى دفاع قابله اليهود .. وان الهجوم على " عراق سويدان " كان أقوى هجوم قام به جنوده على الخطوط المصرية ..

وقال إن الصداقة التقليدية القديمة بين المصريين واليهود تحتم عليه كقائد اسرائيلى النظر فى حقن الدماء بين الطرفين .وأن بابه مفتوح على الدوام للمفاوضة..

ورفض قائد الفالوجا كل العروض التى قدمها القائد الاسرائيلى وانتهت المقابلة وعاد القائد المصرى ومن معه الى الفالوجا ..

وأخطر القائد السيد طه .. رئاسة القوات بتفاصيل المقابلة فأجابت الرئاسة بأن اسرائيل لوسمحت للقوة بالانسحاب فيجب أن يكون ذلك تحت اشراف مراقبى الهدنة خشية الغدر والخيانة ..

وسجل الاميرالاى أ. ح السيد طه قائد الفالوجا تفاصيل اللقاء الذى تم بينه وبين قائد العدو فى مذكراته فقال :

" فى يوم ١٠ نوفمبر تقدم أحد الضباط اليهود إلى بلدة عراق المنشية رافعاً علماً أبيض وقابل أركان حرب القوات بها (الرائد أ. ح جمال عبد الناصر) وقدم نفسه باسم الكابتن (كوهين) مندوب الكولونيل (برتشفيد) قائد القوات اليهودية فى الجنوب ..

وقال كوهين إنه أرسل من طرف قائد القوات اليهودية ليعرض على قائد قطاع الفالوجا المقابلة ، وفكرت فى الموضوع .. إن أمامنا عدة مشاكل فى الحصار ، وإن لدينا جرحى كثيرين ساءت حالتهم فإن أمكن ترحيلهم إلى الخطوط المصرية فإن ذلك سيرفع عنا كثيراً من العناء ، وقد توقف اليهود عن إطلاق نيرانهم فى إنتظار ردى على دعوتهم لمقابلة قائدهم وبذلك مرت ليلة هادئة لم نر مثيلاً لها منذ تطورت الحوادث .. ولم أر بدا من إجابة الدعوة .

وفى الساعة الثالثة والربع (مساء) خرجت بعربة جيب من الفالوجا وكان معى أربعة من الضباط (كان أحدهم عبد الناصر) وقابلنا عربة ترفع العلم الأبيض ونزل منها الكابتن كوهين اليهودى وبعد أن حيانا التحية العسكرية طلب منا أن نتبع عربته . واستمرت العربات فى طريقها إلى أن وصلنا إلى مستعمرة (جات) وهى تقع على مسافة خمسة كيلو مترات من الفالوجا .

ودخلت المستعمرة من بابها الخلفى وكانت فتيات (الهاجانا) جالسات فى (شورتات) زرقاء فوق الدشمة التى بناها اليهود للدفاع عن مستعمرتهم ووقفت العربة الأمامية أمام مبنى من الخشب ونزلنا ..

وكان فى استقبالنا القائد اليهودى (ايجال آلون) وأركان حربه - وبعد أن قدمهم لى قدمت لهم ضباطى ، ثم دخلنا غرفة صغيرة وجلسنا حول مائدة مستطيلة . وبدأ القائد اليهودى حديثه باللغة العبرية وكان أحد الضباط اليهود يترجم إلى الانجليزية .

وأثنى القائد اليهودى على شجاعة الجنود المصريين وبسالتهم فى القتال ، ثم بدأ يعدد فوائد الاستسلام وكيف أن الجنرال الألمانى (فون باولوس) سلم وكان معه نصف مليون جندى مقاتل (فى معركة ستالينجراد خلال الغزو الألمانى للاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية) .

قلت للقائد اليهودى إن موضوع التسليم ليس مجال بحث وإننى لم أحضر لمناقشة هذا الموضوع كما اشترطت .

وطلبت منه السماح لرجال الصليب الأحمر بنقل الجرحى المصريين إلى الخطوط المصرية ولكنه رفض وعرض على أن يتولى علاجهم فى المستشفيات اليهودية وانتهت المقابلة بعد نصف ساعة وعدنا إلى الفالوجا .

وفى اليوم التالى علمنا خبراً مؤداه أن مجلس الأمن أمر حكومة اسرائيل بإخلاء منطقة عراق سويدان وتمرير القوافل والمؤن الطبية لقوات الفالوجا ..

كما أبلغتنا رئاسة القوات لاسلكياً أن عربتين من عربات الصليب الأحمر ستصلان إلى الفالوجا ..

وانتظرنا وصولهما ولكننا علمنا أن اليهود اعتدوا على مندوبى الهدنة والصليب الأحمر فعادوا إلى غزة ليقدموا الاحتجاجات إلى مجلس الأمن . وبذلك انتهت فترة

هدوء الأيام الثلاثة وعاد اليهود إلى إطلاق نيرانهم بشدة على المواقع بعد ظهر يوم ١٢ نوفمبر .

وقد عرض علينا اليهود تقديم أدوية وأدوات طبية ولكننا رفضنا العرض ، وقلت إن جرحانا يقبلون الموت ولايقبلون صدقة من اليهود ، واضطر اليهود إزاء ذلك وإزاء ضغط جمعية الصليب الأحمر إلى السماح لمندوبيها بالمرور وتوصيل الأدوية إلى الفالوجا " .

• • • • • • • • • • •

ومرت سنوات..

وشهد شاهد من أهلها ..

كان الضابط الاسرائيلى الذى التقى مع جمال عبد الناصر فى المنطقة الحرام بين الخطوط المصرية والاسرائيلية لاعداد الترتيبات للقاء بين السيد طه قائد قطاع الفالوجا والكولونيل (ايجال آلون) قائد الجبهة الجنوبية الاسرائيلية ، كان الضابط يدعى الكابتن (يروهان كوهين) ..

وقد اكتشف هذا الضابط بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن الضابط المصرى ى قابله عدة مرات فى المنطقة الحرام فى أثناء حصار قوات الفالوجا هو أهم أقوى الشخصيات فى هذه الثورة وهو جمال عبد الناصر وبدأ يكتب ذكرياته عنه حتى أصبح بعد قليل حجة بالنسبة لشخصية عبد الناصر لدى الاسرائيليين ..

وكان من الطبيعى أن تتركز أنظار الاسرائيليين على عبد الناصر قائد مصر ومحرك سياستها لمحاولة معرفة ميوله وحقيقة نواياه واكتشاف مفتاح شخصيته ..

وكان ذلك هو السبب فى أن يجد (يروهان كوهين) نفسه فجأة محط أنظار الصحافة الاسرائيلية بل الرأى العام الاسرائيلى بأسره .

وفى العدد الصادر يوم ٢ / ٨ / ١٩٥٤ من مجلة Front Page (الصفحة الأولى) وكانت تعد وقتئذ من أكبر الصحف السياسية فى اسرائيل .

نشر على غلاف المجلة صورة مكبرة لوجه عبد الناصر ووضع إلى جانبها ثلاثة عناوين رئيسة بخط بارز وباللون الأسود هى :

صورة للمنتصر فى السويس - ناصر واسرائيل - لقاء مكثف مع الاسرائيلى الذى يعرفه جيداً ..

ونشرت المجلة فى الداخل الحديث الذى أجراه أحد محرريها مع (يروهان كوهين) بعد أن ذكرت أنه الرجل الوحيد الذى يعرف جمال عبد الناصر من سكان اسرائيل .

وقد جرى الحديث الذى نشرته المجلة باللغة الانجليزية بشكل أسئلة وأجوبة بين محرر المجلة ويروهان كوهين ، وفيما يلى ترجمته باللغة العربية :

س : متى رأيت عبد الناصر لأول مرة ؟

جـ : فى اليوم التالى لمعركة عراق سويدان فى نوفمبر ١٩٤٨ .

س : ماهى الظروف التى أدت إلى هذا اللقاء ؟

جـ : كنت مكلفاً من قائد الجبهة الجنوبية (ايجال آلون) لكى أسعى إلى ترتيب مقابلة بينه وبين السيد طه قائد القوة المصرية المحاصرة فى الفالوجا ، وكان الهدف من هذا اللقاء هو محاولة حقن الدماء بقدر الإمكان .

س : وماذا فعلت فى سبيل ذلك ؟

جـ : عبرت الخطوط رافعاً علماً أبيض على سيارة جيب وتلقانى عبر الخطوط ثلاثة ضباط أحدهم كان برتبة الرائد وقد قدم نفسه على أن اسمه عبد الناصر .

س : ماذا كان تأثير لقائه الأول عليك ؟

جـ : كان طويل القامة قوى الملامح وكان يتكلم وعلى شفتيه ابتسامة وكان مهذباً إلى حد بعيد وقد كلمته بالانجليزية فرد على بها بلغة واضحة ولهجة محددة .

س : كيف سار الحديث بعد ذلك ؟

جـ : قدمت له نفسى وشرحت مهمتى وهى إعداد مقابلة بين القائدين ، وقال عبد الناصر بحزم : وهل يريد قائدكم أن يتحدث عن تسليم ؟ وبادرت أطمئنه قائلاً : كلا إننا نريد أن يناقش كل من الطرفين موقفه .

وقال لى عبد الناصر أنه لايملك السلطة ليعطينى قراراً فى الموضوع ولكنه سيبعث أحد زملائه الضباط برسالة إلى السيد طه وفى إنتظار الرد جلسنا هو وأنا فى منطقة مابين الخطوط تحت أشعة شمس الظهر .

س : ماذا قلتما ؟

جـ : تكلمنا عن كل شىء وكان هو مهتماً بالطريقة التى قاومنا بها الانجليز ، وقد أحسست أن كراهيته للأنجليز لها جذور عميقة فى نفسه وفهمت منه أنه يرى أن الاحتلال البريطانى سبباً لكل المصائب التى حلت بوطنه .

س : كم مرة رأيت عبد الناصر ؟

جـ : رأيته مايقرب من خمس عشرة مرة خلال الحصار وكان آخر لقاء لى معه ى فبراير ١٩٥٠ بعد أن انتهت المعارك وكان هو قد أصبح أستاذاً فى كلية أركان الحرب وطلبته لجنة الهدنة المشتركة ليدلها على مواقع مقابر القتلى اليهود الذين سقطوا أمام قواته ودفنوا داخل خطوطه .

* وهكذا حددت وثائق اللقاءات التى تمت الحلقة صورة الجولة الأولى لمفاوضات عبد الناصر مع اليهود والتى لعب فيها دوراً كضابط اتصال .. ولم يذكر خلالها عن وجود أى علاقة صداقة بينه وبين القادة الاسرائيليين .

وذكرت الحلقة الثانية فى المفاوضات تحت الحصار قيام عبد الناصر بالمباحثات بصفته ضابط اتصال ..

يذكر عبد الناصر فى مذكراته :

فى الساعة ١٥.٣٠ يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٨(الثالثة والربع بعد الظهر) وصل

مندوب من العدو الاسرائيلى الى عراق المنشية قادماً من مستعمرة " جات " فقابلته كالمعتاد فى الأرض الحرام .. واستفسرت منه عن سبب الزيارة ..

وأفادنى الضابط الاسرائيلى أن قواته مستعدة لإعطاء كمية من الأدوية الطبية للقوة المصرية فى نظير علاج الجرحى المصريين من ذوى الحالات الخطيرة بالمستشفيات اليهودية فى تل أبيب أو يافا ..

وكرر الضابط نفس الشرط السابق أن يكونوا " أسرى حرب " بعد أن يتم علاجهم ورفضت العرض الاسرائيلى .

وبعدها بساعتين حضر نفس الضابط .. وقدم كمية من الأدوية والأدوات الطبية كانت القوة المصرية فى أشد الحاجة اليها مثل البلازما والمطهرات .

وكرر عرضه بخصوص استسلام الجرحى الذين لايمكن علاجهم تحت الحصار لتقوم المستشفيات اليهودية بعلاجهم .

وقبلت القوة المصرية الأدوية اليهودية .. ورفضت العرض الذى قدمه الجانب الاسرائيلى بعلاج المصابين ..

واعترض بعض الضباط المحاصرين بقوة الفالوجا على الأدوية اليهودية خشية أن تكون " مسممة " أو بها ميكروبات وبائية . إلا أن حالة الجرحى كانت سيئة جداً وكان احتمال وفاتهم مؤكداً .. وتم استخدام الدواء اليهودى تحت اشراف الطبيب المعالج تحت الحصار وأنقذت حالات عديدة منها " ..

وهكذا انتهت مفاوضات عبد الناصر والجانب اليهودى .. ولم تذكر يوميات الحصار التى كتبها قائد الكتيبة الأولى مشاة بعد ذلك أى مفاوضات " سرية " أو مباشرة بين عبد الناصر وبين اليهود .. ولكنه ذكر الحالة السيئة التى وصلت اليها القوة المحاصرة فى الفالوجا وعبر عنها عبد الناصر نفسه فى مشهد ضابط الاستقبال الذى كان عليه توصيله من محطة قطار العريش الى الفالوجا عندما

الحق على الكتيبة السادسة مشاه قبل الحصار بشهور فقال فى مذكراته :

" كان الضابط يرتدى زياً مكرمشاً ، وكان يطلق ذقنه ، وكانت رائحة العرق تنبعث منه ، كما أنه لم يقص شعره من مدة طويلة وعندما سألته عن السبب أجاب :

- إننا نعيش ظروفاً بالغة القسوة يا حضرة الصاغ .. المياه لا تكفينا ..وسبل الاتصال مقطوعة .. بينما نضطر الى صد هجمات الاسرائيليين التى لاتنقطع .

وكثير منا لم يذوقوا طعم النوم لعدة ليال متوالية .. لقد كنت مضطراً للسفر طوال الليل متجاوزاً الطرق التى قطعها العدو حتى اتمكن من استقبالك .

وسألته :

- هل تناولت افطارك ؟

ورد الضابط : - لا ..

وناولته مأأحمل من سندوتشات كانت زوجتى قد جهزتها لى لأتناولها فى الطريق .

وبدون دفاع عن عبد الناصر " .. وهل كان صديقاً .. أو عميلاً .. أو ضابط اتصال مع اليهود تولى بنفسه المفاوضات المباشرة .. أوعقد الاتصالات بين القوة المحاصرة فى الفالوجا ونظيره فى الجانب الاسرائيلى .. فكل ماذكر من حكايات واسرار كشف عنها الستار لأول مرة تشير إلى أنه أدى دوره فى نطاق - عقد الاتصالات - ليس الا .. وهذا أمر وارد ومعتاد فى الحروب ..

ورغم ذلك ..

ورغم مصداقية ماذكره الضابط اليهودى كوهين كما ذكرت من قبل ..

وماذكره عبد الناصر نفسه فى مذكراته الشخصية كما نشرت فى الصفحات السابقة وما أدلى به الضبع الأسود فى روايته .. كما دونت فى الكتاب ..

اعتبر أبطال - الهدم الناصرى - مجرد اللقاءات هى بداية لمجزرة يريقون

فيها دم الرجل أى "عبد الناصر" ويهيلون عليه تراب العمالة مع اليهود يرفضون على ضابط الاتصال المصرى أن يلتقى بالاسرائيليين لبحث أحوال القوة المحاصرة .. فيصدرون الحكم عليه بالاعدام لارتكابه الخيانة والتجسس لصالح اسرائيل ..

وحتى تستكمل الصورة جانبها الخفى نروى ماكتب عن هذه النقطة تحديداً وكيف وصل المدعون فى تحليلهم إلى أن حامي القومية العربية جمال عبد الناصر كان عميلاً اسرائيلياً .. وأن عملية السلام بين مصر واسرائيل كانت ممتدة عبر السلك الشائك فى الفالوجا حتى بلغت مداها فى اتفاقية كامب ديفيد التى عقدها السادات عام ١٩٧٧ وقد ذكر محمد حسنين هيكل الصحفى اللصيق بعبد الناصر بعد الثورة فى إحدى رواياته عنه أنه خلال خرب ١٩٤٨ – أى حرب فلسطين – واثناء حصار الفالوجا.."كان عبد الناصر يتحدث عبر خطوط الجبهة مع الاسرائيليين المحاصرين للفالوجاوكان الحديث يدور حول الكيفية التى أجبرت بها بريطانيا على التخلى عن انتدابها على فلسطين".وعند هذا الحد توقف هيكل فى روايته..

....

وتطوع آخر ليروى جانباً تالياً فيقول :

"كان الصاغ عبد الناصر حينذاك يشغل منصب أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة ضمن القوات المحاصرة فى بلدة عراق المنشية قطاع الفالوجا . وقد فوجىء زملاؤه من الضباط بوصول برتقال اليهم . وقد تصور أحدهم وهو اليوزباشى حسن التهامى بأنها تأتى من القوافل التى كانت تهرب إليهم المؤن .

وعندما وصلته إحداها دفعه فضوله إلى السؤال عن مصدرها . فرفع سماعة التليفون الميدانى متحدثاً مع ابراهيم بغدادى مساعد ضابط مخابرات اللواء المشاة بالفالوجا وسأله عن مصدر هذا البرتقال قائلاً :

لقد جاءتنى برتقالة ولا يوجد عندنا فى الفالوجا برتقال فكيف جاءت الى

هنا ؟

فرد عليه إبراهيم بغدادى ببساطة بقوله : أبداً .. إنها أتت من عند جمال عبد الناصر .

فعاد التهامى يسأله : ولكن لا يوجد برتقال فى قطاعه .

فعاد البغدادى مجيباً بقوله : انها قد أتت إلينا عبر السلك من ايجال يادين رئيس أركان جبهة جنوب فلسطين ...

فسأله التهامى : كيف ؟

فرد عليه إبراهيم بغدادى قائلاً : إن ايجال يادين كان يبعث أقفاص البرتقال وعلب الشيكولاتة إلى جمال وهم صديقان ويعرفان بعضهما . ويبعث جمال عبد الناصر برجاله إلى السلك ليأخذوا البرتقال ثم يقوم بتوزيعه علينا ثم نقوم بدورنا بتوزيعه على قيادة اللواء على الضباط ، وكل واحد تأتى اليه برتقالة واحدة .

وقد أشار حسن التهامى إلى هذه الواقعة حيث ذكر أنه عندما التقى بصفته نائب رئيس وزراء بايجال يادين نائب رئيس الوزراء الاسرائيلى على مائدة المفاوضات أثناء زيارة الرئيس السادات للقدس عام ١٩٧٧ وتجالس الاثنان متجاورين بحكم منصب كل منهما فى بلاده فلم يفت عليه سؤال ايجال يادين عن هذه الواقعة وسأله : هل كنت ترسل برتقال وشيكولاتة إلى عبد الناصر فى الفالوجا عام ١٩٤٨ ؟

فرد عليه إيجال يادين بقوله على الفور : نعم .

فسأله التهامى قائلاً : لماذا .. وكيف ذلك ؟

فرد عليه يادين وكانت تبدو عليه علامات الاستنكار لهذا التساؤل بقوله :

لماذا تندهش .. فعبد الناصر كان صديقى الشخصى وتربطنى به علاقات أخوة وأعرف طباعه وعاداته ومايحبه ومالا يحبه وأنا أعرف عنه أنه كان يحب

الشيكولاتة والبرتقال . وكان البرتقال يتوافر عندنا فماذا يمنع من ارساله لصديقى

وزادت هذه الإجابة من دهشة حسن التهامى فعاد يسأله :

وهل كان عبد الناصر صديقك قبل حرب ١٩٤٨ ؟

فرد عليه يادين مبتسماً فى النهاية : نعم .. وأعرفه معرفة جيدة .

وتوقف الحديث عند هذا الحد .. وقام أعضاء الوفدين يشاركون فى إعداد البيان السياسى الذى سيصدر عن الزيارة التاريخية للقدس .

ويعلق الهامى على حديث المسئول الاسرائيلى بقوله :

عندما ذكرت هذه الواقعة أثنائها فإنها لم تتصور لدى بأن للأمر عمقاً أو بعداً آخر .

ولكن عندما أكد ايجال يادين أثناء مبادرة القدس دلالة هذه الهدية من البرتقال والشيكولاتة بأنها تحمل معنى الصداقة والأخوة ، فإننى (أى حسن التهامى) أرى أننى وجدت الإجابة التى كنت أبحث عنها منذ سنوات طويلة .

ويستطرد قائلاً :

" إن معرفة الإنسان بطباع آخر يعنى أن هناك معاشرة أو تعارفاً طويلاً من قبل ، وليس من المنطق أو المعقول أن يكون ذلك وليد يوم وليلة أو مقابلة سرية أو تعارف أثناء القتال ، وإلا كيف يعرف يادين بحب عبد الناصر للشيكولاتة ؟ إنه قد أكد ذلك فى حديثه معى أيضاً . ولم ينكر بل إنه بدا وكأنه يفاخر بهذا ..

ويستطرد التهامى فى تعليقه بقوله : وإذا كان هناك مثل هذا النوع من الصداقة بين رأس الحكم فى مصر وهو عبد الناصر وبين قائد اسرائيلى أو غيره .. فماذا يعنى ذلك ؟

ويجيب التهامى على تساؤله قائلاً : إذا كان القائد المصرى بهذه الخلفية أو هذه الصداقة فهل مؤدى هذا موقف أو علاقة ما أو على أحسن الفروض .. أن

يكون هناك نوع من التفاهم .

ثم يضيف بقوله : ان أبسط النتائج المترتبة على هذه الصداقة أو هذه العلاقة هى عدم اللجوء إلى القوة مع الصديق ، إنما الأقرب للمنطق وطبيعة الأمور فى تلك الحالة هو أن يكون التفاهم وسيلة أولى فى علاقتهما ، وبذلك يمكن الوصول إلى حل أي مشاكل .. بدلاً من الحرب ..

و تطوع ثالث ليروى قصة تسير فى نفس الاتجاه يقول :

- أثناء احتدام المعارك فى حرب ١٩٤٨ وقبل الاتفاق على الهدنة قد تمت لقاءات أولية بين إيجال آلون وضابط اسرائيلى آخر هو بروحام كوهين وبين الصا غ جمال عبد الناصر وكان حينذاك ضابط العمليات فى الكتيبة السادسة التابعة لسلاح المشاة والتى كانت محاصرة فى الفالوجا .

وكان عبد الناصر يتزعم فى ذلك الوقت حركة الضباط الأحرار السرية . وكان آلون قائداً للجبهة الجنوبية إلا أن آلون قدم نفسه لعبد الناصر فى ذلك الوقت باسمه الحركى يهوشع برجشتاين

وفى أحاديثه معهم أبدى عبد الناصر اهتماماً بالاستيطان اليهودى فى فلسطين أثناء فترة الانتداب البريطانى .

ثم بعد ذلك استمر بروحام كوهين فى لقائه بعبد الناصر والذى وصل فى ذلك إلى خمسة عشر لقاء وان اللقاء الخامس عشر والأخير بينهما كان فى السابع من سبتمبر عام ١٩٥٠ عندما جاء عبد الناصر فى ذلك الوقت لمنطقة الفالوجا مشتركاً فى الوفد الذى يحدد موقع جثث القتلى من الجنود الاسرائيليين فى معارك عام ١٩٤٨ .

ويبرز السؤال ..

لماذا اختير عبد الناصر ضمن الضباط الذين قاموا بهذه المهمة التى بدت

إنسانية ؟

والإجابة .. أنه قد أوعز الى الشاويش الذى عمل معه على أنه يشير إلى أن عبد الناصر هو الذى يعرف مكان الجثث ، وقد رافقه فى تلك المهمة حسن صبرى الخولى الذى عينه ممثلاً شخصياً فيما بعد .

وان اللقاء المشار اليه كان ضمن لقاءات أخرى تمت تحت مظلة جماعة الكويكرز الامريكية المشرفة على المعونة الدولية للاجئين الفلسطينيين فى قطاع غزة عامى ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ .

وكان طابع هذه اللقاءات الظاهر أنها مخصصة لمناقشة المشاكل المتعلقة بتنفيذ اتفاقية الهدنة وطرق استمرار الهدوء على حدود قطاع غزة وصحراء سيناء

بل رأى البعض بأن واقع الطريقة التى عرضت بها مبادرة السلام المصرية فى القدس عام ١٩٧٧ يرجع الفضل فيها لاتصالات عام ١٩٤٩ هذه والتى قد أجراها عبد الناصر مع الاسرائيليين تحت ظل الأعمال الانسانية والبحث عن جثث وقتلى اليهود فى حرب ١٩٤٨ .

وهكذا حاول البعض الربط بين مبادرة السلام للسادات كخط سياسى وبين مابدأه عبد الناصر وسعى فيه للسلام مع اسرائيل منذ عام ١٩٤٩ ، وأن تطور الأحداث أو الظروف هى التى عاقت استمرار عبد الناصر من استكمال هذا الطريق ، بل يذهب البعض بهذه الرؤية ليرد الفضل للمبادرة إلى عبد الناصر ..منذ عام ١٩٤٩ .

ولا يعجب هذا التحليل البعض الآخر أيضاً فيحاول نبش حياة عبد الناصر الشخصية للبحث عن أصول يهودية فيها ربما تأثر بها وانعكست على تصرفاته اليهودية .. فيقول :

روى عن محمد حسنين هيكل أن والد عبد الناصر والذى يعمل كاتباً بمصلحة

البريد المصرية قد نقل من الصعيد إلى الاسكندرية . وقد تزوج هذا الرجل بسيدة من الاسكندرية ، ورزق بعبد الناصر ، عندما بلغ عمره الثمانى سنوات ، أرسل ابوه إلى القاهرة لاستكمال تعليمه ، وفى الأجازة الصيفية عندما ذهب إلى الاسكندرية قيل له أنها توفيت ، فحزن وغضب وشعر أنه يفتقدها .

وعند هذا الحد من الرواية توقف هيكل عن الاستطراد .. ولكن ماذا حدث فى القاهرة؟

ويستكمل البعض من عندياتهم :

عندما كان عبد الناصر يرسل الى القاهرة يقطن عند إحدى قريبات والدته فى حى يقع بين منطقة بين الصورين ومنطقة الخرنفش وهو مايطلق عليه حى اليهود فى منطقة الموسكى التجارية . وبالتحديد فى المنزل رقم (٥) فى حارة خميس العدس بحى اليهود . وقد إستمر فى المعيشة مع قريب والدته في ذلك الحى . عندما نقل والده إلى القاهرة وتزوج بأخرى ولم يطق عبد الناصر الاستمرار مع زوجة أبيه . وكان الحى يهودياً أو أغلبية سكانه من اليهود لذا نمت علاقات اجتماعية مع أقرانه وأصدقائه وجيرانه منهم وامتدت هذه العلاقات إلى أقاربهم وذويهم فى أنحاء مصر أو أحيائها الأخرى كحى السكاكينى وغيرها .

ويزيد تحليل البعض فى تفسير علاقة عبد الناصر وايجال يادين وايجال آلون أثناء حرب ١٩٤٨ . حيث استمر عبد الناصر فى الحى المشاراليه حتى تخرج من الكلية الحربية ووصل الى رتبة ملازم أول بالجيش المصرى وترك بعدها هذا الحى فيذكروا إن هذه العلاقات الاجتماعية بما يمكن أن يدور فيها من النقاش والحوار والبحث والتدارس كعمل يشغل ذهن كل طرف أو يمثل طموحاته أو آلامه

وعلى ذلك سيكون لدينا من الوقائع الأخرى التى تؤكد أو تفسر استمرار هذه العلاقات بصورة أو بأخرى .. ومدى انعكاسها أو تأثيرها على عبد الناصر عندما

تولى حكم مصر .. وسياسته تجاه اسرائيل .

ويحاول البعض أيضاً توجيه الصاروخ الناسف لعبد الناصر لدفعه بالاتصالات الاسرائيلية فينسبون له حديث ذكريات أدلى به فى احتفال أقيم فى ٣ مارس ١٩٥٥ عندما احتفلت فيه الكلية الحربية بتسليم علم الرئيس والقى فيها كلمة وقال فيها :

" أذكر يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٨ وكانت الهدنة قائمة وهجم اليهود هجوماً غادراً على موقع الكتيبة السادسة فى عراق المنشية . ولكنهم هزموا شر هزيمة وبعد أن استطاعوا تركيز قوتهم فى مكان آخر صدر قرار مجلس الأمن بوقف القتال وبعودة اليهود إلى مواقعهم وانتظروا تنفيذ قرارات مجلس الأمن .

فماذا كانت النتيجة عام ١٩٤٨ ـ لقد عزز اليهود مواقعهم وتمكنوا من خطوط الجيش المصرى .

وكان أحد شهود هذه الواقعة اليوزباشى حسن التهامى فى لواء المشاة الذى كان يضم أيضاً عبد الناصر . وكان بالقرب منه فى عراق المنشية وتطوع ليروى تفاصيل مثيرة عن الواقعة بقوله : لقد كان هذا الهجوم قبل عقد الهدنة الأخيرة بأسبوعين وفى الوقت نفسه الذى كان يجرى فيه تفاوض بين مصر وإسرائيل فى جزيرة رودس .

وقد اختار اليهود قرية عراق المنشية كهدف لهجوم الدبابات والمشاة للضغط على القيادة المصرية المفاوضة للخضوع لشروط اسرائيل فى اتفاقيات الهدنة .

وفى هذا الهجوم عبر الاسرائيليون السلك الشائك رغم تصدى المدفعية المضادة للدبابات لهم وتوغلت بعض قطاعاتهم الهجومية حتى وصلت الى مدرسة التدريس المقامة بكتيبة عراق المنشية والتى كان عبد الناصر يتخذ له فيها مكتباً وقد لاحظ جنود وضباط كتيبة عبد الناصر أن الجنود الاسرائيليين قد وصلوا إلى

حائط هذه المدرسة ، كان عبد الناصر مازال جالساً فى مكتبه بها لم يحرك ساكنا ولم يحاول الرد على هذا الهجوم أو أن يتسلل إلى مكان ما حتى لايقع أسيراً فى أيدى القوات الاسرائيلية ..

وفى خضم هذا الهجوم وهذا الاقتراب من موقعه (أى موقع عبد الناصر تطور الهجوم فجأة بمجرد بزوغ الشمس حيث تحطمت موجات التعزيز اليهودية عبر النيران نتيجة الضرب المكثف للقوات المصرية لها بالمدفعية الهاون والرشاشات بقيادة اليوزباشى حسن التهامى - راوى هذه الواقعة - من موقع تبة الكوبرى الحاكمة لشريان الاتصال الرئيسى بين الفالوجا وعراق المنشية والمتحكم بالهاون والرشاشات فى النيران المؤدية لعراق المنشية وخطوط اقتراب القوات الاسرائيلية المهاجمة وفجأة صدرت أوامر للقوات الاسرائيلية المهاجمة بالتوقف والانسحاب خشية الابادة من جراء هذا الضرب المكثف .

ويستطرد التهامى بقوله : وارتد الجنود الاسرائيليون عن سور المدرسة التى كان يجلس بداخلها عبد الناصر دون أن يتأثر بالهجوم أو باقتراب هؤلاء منه ولم يحاول كما يروى كل من عاصر هذه الواقعة - اللجوء إلى قطاع آخر من الكتيبة بعيداً عن احتمالات الأسر أو القتل وكأنه كان جالساً ويثق فى أنه لم ولن يصيبه أذى أو ضرر بل كأنه يستعد لاستقبال من يدخل عليه من الاسرائيليين ..

ويتساءل التهامى قائلاً : أليس من المستغرب أن عبد الناصر لم يتحرك من مكتبه إلى غرفة العمليات أو المخبأ الخاص بادارة المعركة وعملياتها ؟

* * *

وتبقى حكاية أخيرة أغرب من الخيال ومرتبطة أيضاً باتصالات عبد الناصر واليهود على حائط السلك الشائك فى الفالوجا .

وأصحاب هذه الحكاية .. بعض قيادات جماعة الاخوان المسلمين ممن طاردهم عبد الناصر عام ١٩٥٤ فأطلقوا عليه اشاعة توصمه بالخيانة واستندوا فى

اشاعتهم الى إدعاء الاتصالات اليهودية التى لم تحدث ووصفوها بأنها كانت عملية انتقامية منهم للتشهير به انتقاماً منه لموقفه منهم بعد حادث المنشية عام ١٩٥٤ .

وقد اعترف قادة الأخوان المسلمين بالاشاعة فى كتبهم .

ويذكر أحد اقطاب الاخوان ويدعى محمود عبد الحليم عضو الهيئة التأسيسية للجماعة - ابعاد الوشاية فيقول :

إن الجهاز السرى للجماعة أعلن حرب المنشورات ضد عبد الناصر وردد فيها أن ادعاء اتصالاته مع اسرائيل ستحدث ردود فعل خطيرة تؤثر على صورته الوطنية أمام الشعب ..

وان هذه المنشورات لم تكن تزد عن وريقة مطوية بعضها على بعض حتى تصير أربع وريقات كل منها فى مساحة الكف مطبوعة طباعة رديئة ومسجل عليها كل مايريد التنظيم اشاعته .

وان الجهاز السرى تفنن فى إخفاء المكان الذى كان يعد فيه هذه النشرات حتى لا تصل الى المباحث أو رجال عبد الناصر لدقة اعدادها واخفاء اماكن طباعتها وتوزيعها ..

ويذكر محمود عبد الحليم :

جاءنى الاخ محمد جودة - عضو الهيئة التأسيسية - وهو من أصدقاء جمال عبد الناصر قبل الثورة ويرتبط معى برباط المواطنة ..... حيث اننا من بلدة رشيد كما كان زميلاً لى فى المدرسة الابتدائية بها .. وابلغنى الاخ جودة شكوى عبد الناصر من أن النشرة الاخيرة نسبت اليه اتهامات كاذبة بأنه عقد معاهدة سرية بينه وبين الاسرائيليين ..

وقد رأى الاخ محمد جودة أن يبلغنى هذه الشكوى لما يعلم من صلتى بأعضاء النظام السرى وقيادته ..

وتستمر شهادة محمود عبد الحليم .. فيقول ..

- تقابلت فعلاً مع الاخ يوسف طلعت - رحمه الله - (رئيس الجهاز السرى للاخوان المسلمين) ومع بعض الاخوة من قادة الجهاز وكلمتهم فى هذا الشأن .. وقد احتدمت المناقشة بينى وبينهم لأننى وإن كنت أرى جمال عبد الناصر أسوأ مما يرون فأننى لا أرضى لنفسى ولا لدينى أن ارمية بواقعه معينة ليس معى دليل عليها سوى مايشيعه زملاء له كانوا محاصرين معه فى الفالوجا .

ولا تنتهى الروايات .

ولا تعليق .

الفصل السابع

انقاذ مايمكن انقاذه

حفظت العناية الالهية القوة المصرية المحاصرة من الموت جوعاً .. وكادت تقبل العرض الاسرائيلى الذى طرحه المفاوض اليهودى بالاستسلام فى مباحثات مستعمرة " جات " وبعد أن سيطرت المجاعة على أفرادها ..

اكتشفت القوات المصرية بالصدفة .. مخازن سرية لتخزين القمح تحت الأرض تكفيها شهوراً طويلة للصمود .. فعاشوا أيام الحصار على طعام البليلة والقمح المجروش .. والعجين المخلوط بالماء ..

وقصة الاكتشاف القمحى – وقعت بالصدفة – وتتلخص فى أن أهالى بلدتى بيت عفة وعراق سويدان " عندما لجأوا الى قرية الفالوجا هروباً من الموت عقب سقوط البلدتين فى أيدى العدو .. واجهوا الموت جوعاً هم الآخرين فنبشوا فى جوف الأرض يبحثون عن " مكامير " حفظ القمح التى كان يخزنها اهالى الفالوجا للاحتفاظ بالمخزون منها طوال العام كعادة أهل هذه البلاد .

وفتح بعض الاهالى إحدى المكامير واستخرجوا منها الغلال وصاروا يأكلون منها سراً ثم اختلفوا فيما بينهم وتشاجروا فى عنف .. ووصلت اصواتهم الى القيادة المصرية للقوات المحاصرة فعرفوا السر وانكشف مكان مخزون القمح ..

وأمر " السيد طه " بمصادرة المخزون .. وصار القمح غذاءً للقوة حتى نهاية الحصار .. وصار تشغيل وابور الطحين الوحيد بالقرية والافران بصفة مستمرة لصنع الخبز المعجون بالماء وتوزيعه على جنود القوة ليعيش أفرادها وأهالى القرية اللاجئين عليه الفترة الباقية من أيام الحصار بعد أن نفدت التعيينات التموينية تماماً .وواصل أفراد القوة البحث عن باقى المواد التموينية التى خبأها الأهالى

واحتفظوا بسرها بعيداً عن الجنود .. واكتشفوا كميات كبيرة من السكر والشاى والدقيق فى مخازن بلدية الفالوجا .. فصادرتها القيادة لصالح القوات وكانت تكفى لنهاية الحصار أيضاً .

وَوَصَلَتْ أَخْبَارُ الصمود وشجاعة القوة المصرية الى الملك فاروق فى القاهرة فحيا هذا الصمود .. وأنعم على الضبع الأسود برتبة والباكويه .. وأرسل اليه خطاباً يحيى فيه شجاعة القوات المحاصرة ويرفع من معنوياتهم كان نصه :

" حضرة صاحب لعزة الاميرالاى السيد محمود طه بك

ان استبسالكم المجيد فى ميادين القتال أنتم وضباطكم وجنودكم له عندى عظيم التقدير وكتبتم بذلك صفحة المجد والفخار واثبتم انكم احفاد من تقدموكم فى هذه الميادين فأصافحكم فرداً فرداً . مصر جميعاً تنظر اليكم . سدد الله خطاكم ..

فاروق

واحدثت الرسالة الملكية فعل السحر فى نفس الجنود الصامدين وزادتهم قوة وتصميماً على مقاومة العدو .. وارسل السيد طه رسالة شكر إلى الملك باسم جنوده المحاصرين رداً على رسالته السامية .

وأصبح السيد طه – بعد الانعام عليه برتبة الاميرالاى والباكوية – قائداً لجميع قوات الفالوجا التى تتكون من لواء كامل من المشاة يضم الكتيبة الأولى والثانية والسادسة وتروب من سلاح الفرسان الملكى .. وتروب من المدفعية ٢٥ رطلاً وتروب من المدفعية ٤,٥ هاون .. بخلاف الفصائل والسرايا المعاونة والسرية السودانية المتطوعة .. ومجموعات أخرى من المتطوعين المصريين ..

وعادت المعارك بين قوات الفالوجا. والعدو الاسرائيلى تتجدد مرة أخرى ... وواصلت رئاسة القيادة طلبها من القوة المحاصرة الانسحاب سراً الى مدينة الخليل

دون اسلحة ودون تقدير للمذبحة التى يمكن أن تقع للجنود المصريين عندما يشعر العدو بالهروب الجماعى منهم إلى خارج الفالوجا ..

ورفض قادة الكتائب المحاصرة كل أوامر رئاسة القوات " الساذجة " .. وقررت استمرار المقاومة والتصدى للعدو حتى الموت ..

واخطرت قيادة الرئاسة القوة المحاصرة بأن مجلس الأمن يدرس – وقتها – اصدار قرار سياسى لفك الحصار عن الفالوجا والسماح بالتموين وعلاج أفراد القوة وعليهم بالانتظار ..

والقى الاميرالاى السيد طه اخطار الرئاسة فى سلة المهملات ..

وبدأ العدو الاسرائيلى يشن هجمات عنيفة على القوات المحاصرة واحتلال مواقع جديدة ابتداء من يوم ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ لتضييق حلقة الحصار كما استمرت المدفعية اليهودية فى اطلاق صواريخها بلا هوادة أو توقف على منطقة الكوبرى بالفالوجا لتدميره والاطباق على القوات المصرية من كل ناحية .

وفى فجر ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ وصل الفالوجا ثلاثة من المتطوعين من جماعة الاخوان المسلمين قادمين من بيت لحم عن طريق الخليل وذكروا للقائد السيد طه انهم أحضروا قول تموين مكون من ١٥ جملاً يحرسه ٣٠ متطوعاً وإنهم تركوها فى أحد الوديان الجنوبية وتسللوا لمعرفة طرق الدخول للمنطقة المحاصرة ..

وأمر القائد بأن تصاحبهم قوة حراسة للمنطقة التى ذكروها وفوجئوا باختفاء القول وعثروا على بقايا " معركة " وقعت اثناء غيابهم واستولى فيها العدو على حمولة التموين والجمال .

وفى نفس اليوم وصلت للقيادة المحاصرة اشارة من رئاسة القوات تطالبها بالصمود .. وبها ذكر لقرار أصدره مجلس الأمن قرر فيه انسحاب العدو الى مواقعهم قبل ١٤أكتوبر ١٩٤٨ وعلى ان يتم التنفيذ قبل يوم ١٩نوفمبر ١٩٤٨

واعتبرها " الضبع الأسود " رسالة تخدير أو تشجيع .. بعد أن بدأت طائرات العدو في الاغارة المكثفة على الفالوجا وعراق المنشية في ثلاث موجات تصحبها نيران مركزة من المدفعية في نفس توقيت وصول اشارة التخدير ..

كما القت الطائرات منشورات معادية على الأهالي تطالبهم فيها بالاستسلام وتنشر عليهم عشرات الاكاذيب ..

وطلبت القوة المحاصرة من قيادة اللواء الاستعانة بالسلاح الجوى المصرى لضرب مواقع العدو وتخفيف قوة القصف المدفعي على المنطقة ..

ولم ترد رئاسة القوات على استغاثات قائد القوة المحاصرة .. واصبح كل همها ارسال برقيات التشجيع .. وانتظار الحل فى قرار يصدره مجلس الأمن لحمل اسرائيل عن الانسحاب أو فك الحصار ..

وزادت المنشورات المعادية التى كانت تلقيها الطائرات الاسرائيلية على قوات لفالوجا .. بهدف خفض الروح المعنوية للمحاصرين ولكنها كشفت فى نفس الوقت مقدار الرعب الذى كان يلقيه فى روعهم الضبع الأسود السيد طه بصموده الذى أذهل قادتهم ..

وفيما يلى مثال واحد من المنشورات المكتوبة باللغة العربية .. والتى كانت الطائرات الاسرائيلية تلقيها على القوة المحاصرة .. كان نص المنشور كالتالى :

" الى أين المفر ؟؟

الى قائد اللواء الرابع

أيها القائد .. الى أين تسوق جنودك .. هل تشك أن جيشك غير مطوق .. هل تأمل أنه سيأتيك من يريد أو يستطيع نجدتك ؟

هل يعلم جنودك أنه فى يوم الخميس الموافق ٢٨ من الشهر الماضى استسلمت بلدة الكبيبة الى قوات أسرائيل وكذا تل الدويرة بعد بيت جبرين ؟

هل يعلم جنودك ان الجيش الذى ربما وعدكم أنه سيأتى لنجدتكم لايريد ولايستطيع مساعدتكم فقد حاولت مصفحات الجيش الاردنى الدخول الى بيت جبرين الا أنها ردت على أعقابها بعد أن استولينا على أربع منها ؟

هل يعلم جنودك أن اللواء الثانى فى المجدل الذى تنتظرون نجدته يفكر فقط فى انقاذ نفسه ؟

فى يوم الأربعاء الموافق فى ٢٧ من الشهر استسلمت " أسدود " وقد دخلت قواتنا الى هضبة ٦٩ كما انها دخلت نيسانيم ..

وفى يوم الخميس ٢٨ منه استسلمت الينا الحمامة وفى القريب لن يكون لكم أدنى أمل .. سواء فى الجنوب من بئر سبع الى بيت جبرين .. ستطبق عليكم قواتنا من البحر أيضاً ..

هل يعلم جنودك أن سفينة المعلم (الملك فاروق) وهى أكبر سفينة فى الأسطول المصرى والتى كانت تنقل الى غزة خمسمائة جندى قد أغرقت وأنها غاصت الى قاع البحر مع جنودها ؟

ايها القائد للواء الرابع انك مطوق .. ليس امامكم طريق للمفر نعم لقد كان لكم طريق وهو عدم الاصغاء لافتراءات تجار الدماء البريطانيين .. وعدم المجىء الى بلادنا .. أما الآن فقد فات الأوان .. لقد كان امامكم طريق آخر قبل شهر عندما رأيتم أن جيش اسرائيل يزداد قوة من يوم الى يوم ويسير من انتصار الى آخر .

طريق الخروج من هذا المأزق هو العودة الى بلادكم .

إنكم مطوقون ومعزولون واعلموا ان كل محاولة من قبلكم لشق طريق لكم ستدفعون ثمنها بدمائكم . ولم يتبق لكم الا الطريق المؤدى للحياة وهو أن تستسلموا الينا من تلقاء أنفسكم قبل نشوب المعركة .

ان هذا الطريق يقصر أمر الحرب ويضمن لجنودك العودة القريبة الى ديارهم

سالمين حينئذ تسألون زعماءكم لماذا أرسلوكم الى هنا لكى تموتوا دفاعاً عن مصالح المستعمرين الانجليز ..

لاتدعوا هذه الفرصة تفلت من أيديكم ولاتتأخروا كما فعلتم فى الماضى ..

ويل لك أيها القائد .. ويل لجنودك حينذاك لن يرجع فرد من هذا اللواء الى بلاده وأهله بعد أن يبادوا جميعاً ..

ان الامر بيدك .. قبور أو جند أحياء ..

ايها القائد لماذا تقص على جنودك قصصاً كاذبة بقولك ان اليهود يعاملون الاسرى معاملة سيئة ؟ لماذا تمنعهم من قراءة المناشير ... التى يرسلها الضباط المصريون من معسكر الاسرى الى اصدقائهم وعائلاتهم ؟

لماذا لاتدعهم يصغون الى اذاعة محطة الأسرى العرب ؟ لماذا ؟

إنك تفضل ان يموت جنودك بأجمعهم لكى يتسنى لك الهرب كما هرب شهيب " قائد بئر السبع . وكما هرب " شوكت بك " قائد بيت جبرين . وكما هرب قائد ١١٣ وكما هرب القائمقام احمد افندى سيف اليزل خليفه و كما هرب القائد الأعلى المواوى باشا . هل تريد للكتيبة التاسعة أن تلقى مصير اللواء بأجمعه ؟

ايها القائد .. كن ذكياً واخرج مع كل جنودك ، الذين تبقوا لك من الخنادق التى ستكون خنادق الموت .. تعال الينا .. الى المكان الذى يضمن لهم الحياة ومعاملة حسنة والعودة الى ديارهم .

افتح عينيك ايها القائد فأنت تنظر حتى هذا اليوم الى هذه الحرب بعيون انجليزية .. ومن اليوم وصاعداً افتح عيون مصرية وطنية وانقذ حياة جنودك ..

اخرج لمقابلة قائدنا وارفع علماً أبيض الاشارة .. لا تفوت الفرصة فإن مسئولية سفك دماء الابرياء على رأسك ..

أيها الجنود حافظوا على هذا المنشور يفد حياتكم "

وانتهى المنشور الاسرائيلى ..

ولم يتأثر القائد السيد طه بالمنشور ولم يتأثر به فرد من الجنود أو الضباط وقام القادة والضباط والجنود بجمع كل المنشورات التى القيت من الجو ووضعوها فى حفرة وأحرقوها ..

واستمر القصف المدفعى على بلدة الفالوجا .. وتضييق الخناق على الجنود المحاصرين بالهجمات المتعاقبة على البلدة ..

واستمر القصف الدقيق ليلاً ونهاراً .. وزادت الخسائر فى المبانى فقط بعد أن لجأ الجنود الى الملاجىء والمخابىء والسواتر الترابية ..

وجاء بريق الأمل للحظات مع وصول الضابطين اليوزباشى صلاح سالم .. والصاغ زكريا محيى الدين قادمين من غزة سيراً على الأقدام الى الفالوجا .. تتقدمهما قافلة تموينية تحملها البغال وتحوى امدادات عسكرية وغذائية وطبية وذخيرة تبقت لديهم بعد تعرضهم لهجمات من العدو اكثر من مرة ولكنهم استطاعوا الفرار بها بعد ان سلكوا دروباً ووديان سرية ..

ولم تكن حمولة القافلة تكفى القوة المحاصرة الا لعدة أيام .. ولكن أهميتها ترجع الى اهتمام رئاسة القيادة أخيراً بأحوال القوة المحاصرة والتفكير فى اغاثتها بكل الطرق بدلا من ارسال اشارات الصمود والدعوة للانسحاب ..

ورجع الضابطان زكريا محيى الدين وصلاح سالم يحملان تقريراً عن ظروف القوة المحاصرة واستحالة تموينها جواً وخاصة بعد عمليات الاحتلال المتوالية للمواقع من العدو وتعرضها للقصف المدفعى المستمر وعدم امكان مرور القوافل الى المنطقة بسبب الحصار ..

ونقل الضابطان صلاح سالم وزكريا محيى الدين الى قائد القوة المحاصرة " السيد طه " أحد الحلول الساذجة التى أصرت رئاسة القوات المصرية على

تنفيذه باعتباره الوسيلة الوحيدة للانقاذ ويقضى بأن تنسحب القوات الى مدينة الخليل بعد أن تقوم الجيوش العربية بعمل مظاهرة لاشغال العدو عن مراقبة الهروب الجماعى وعندئذ تتمكن القوة من اجتياز المنطقة الخطرة بدون سلاح بعد أن تتخلى عن اسلحتها الثقيلة وتتركها خلفها أو تدمرها قبل الهروب وأن تجتاز القوة الهاربة طريق " الجبال " جنوب بلدة الكبيبة بدلاً من الطريق الاسفلت المحتل من قوات العدو ..

ورفض السيد طه " الحل الساذج " الذى قدمه صلاح سالم وزكريا محيى الدين لأنه يمثل " مذبحة " لافراد القوة الهاربة لو خرجت من مواقعها بلا أسلحة .. أو التبرع بدمائها وجثثها للعدو لو اكتشف أمر انسحابها الهروبى ..

وسلم قائد القوة " الشجاع " تقريراً للضابطين عن حالة القوة طلب منهما تسليمه الى قيادة اللواء فى غزة ذكر فى مقدمته أن الروح المعنوية لجنوده الابطال جيدة جداً .. ويمكن لهم الصمود فترة طويلة وحالة التموين متوسطة وتكفى لمدة اسبوعين اذا ماضغط المصروف اليومى للجنود ويمكن أن تطول الكفاية التموينية فى حالة اكتشاف مخازن أخرى للغلال أو المواد التموينية ..

أما بالنسبة للتسليح ذكر " السيد طه " أن كمية الاسلحة الصغيرة تبلغ ٢٠٠ ألف طلقة .. اما الاسلحة الثقيلة مثل مدافع الهاون والمدفعية المضادة للدبابات فتكفى لمدة اسبوع اذا استمرت المناوشات القتالية للعدو والرد عليها .. أما فكرة الانسحاب فمرفوضة نهائياً ..

وكتب قائد القطاع " السيد طه " فى نهاية رسالته كلمة جاء نصها كالتالى :

" إننى وجنودى نفضل البقاء فى أماكننا والدفاع للنهاية وان نموت بعد أن يخترق الرصاص صدورنا .. فيقال اننا قد دافعنا لآخر طلقة وآخر رجل ..و وقفنا فى أماكننا بدلاً من أن يقال اننا تركنا مواقعنا بالانسحاب فضربنا العدو فى

ظهورنا أو اننا متنا أثناء هروبنا ..

ومادامت النتيجة سواء انسحبنا بهذه الطريقة أو بقينا بمواقعنا هي الفناء فلنبق في المواقع بالفالوجا ولنمت فيها .. وليمر العدو على جثثنا "

إمضاء السيد طه

وحمل الضابطان صلاح سالم وزكريا محيي الدين رسالة القائد الشجاع .. وانصرفا عن طريق الدروب الملتوية الى مقر رئاسة القوات في غزة ..

" وبدأت الغارات المعادية تقصف مواقع القوة المحاصرة في نفس اليوم حيث فوجئت ثلاث طائرات مصرية حلقت فوق المواقع وتحمل مواد تموينية بطائرتين معاديتين وطاردتهم .. واسقطت واحدة منهم .. ولم تتمكن الطائرتان الباقيتان من القاء الامدادات التموينية للقوة المحاصرة وأعد العدو هجوماً كاسحاً على عراق المنشية استمر طوال الليل يوم ١٨ نوفمبر ١٩٤٨ واستطاع المدافعون الأبطال من صد هذا الهجوم بعد استشهاد اثنين من الجنود هما موسى محمود الحريف ورجب على البنداري ..

والغريب .. أن رئاسة القوات بعد أن بلغها اخبار المعركة الشرسة ارسلت للقوة تطلب منها الاقتصار في الذخيرة .. بدلاً من تهنئتها على مواجهة هذا الهجوم ..

وحدث تطور جديد في سير المعارك بعد هذه المعركة بساعات حيث استخدم العدو القنابل الفسفورية – لأول مرة – منذ اندلاع القتال .. ففي الساعة ١٨٣٠ من مساء ١٨ نوفمبر ١٩٤٨ بدأت الغارة الأولى على بلدة الفالوجا بهذا النوع من القنابل ..

وكانت الطائرات الاسرائيلية ذات المحرك الواحد تأتي في موجات متتالية بفواصل زمنية تقترب من الخمسة عشرة دقيقة بين كل غارة لتضرب المواقع بالقنابل الفسفورية التي تعطى ضوءاً شديداً وتوهجاً محرقاً بمجرد ملامستها

للأرض .. ونتج عن ذلك اشتعال الحرائق فى كل مكان بصورة خطيرة جداً ..

وكانت كمية القنابل كثيرة العدد نتيجة لموجات الطائرات الفسفورية التى هاجمت الفالوجا فى هذه العملية والتى بلغت ١٩ موجة تضم كل منها مابين ١٠ و ١٥ طائرة .. وتحولت بعدها أرض الفالوجا الى شعلة من النيران والوهج الحارق فى كل مكان ..

وزاد الهجوم بالطائرات الثقيلة التى تلقى قنابلها على أهداف الفالوجا متزامنة مع حرائق القنابل الفسفورية حيث بات الليل صورة من الجحيم ..

وتدخلت العناية الالهية لتنقذ القوة الصامدة من الدمار بعد أن تسبب دخان الحرائق الكثيف التى خلفته القنابل الفسفورية فى حجب الرؤية عن الطائرات المغيرة فى تحديد الأهداف بدقة .. وكانت النتيجة عدم وقوع خسائر فى الأرواح ..

ولم يقم العدو ليلتها بالهجوم المنتظر بقوات المشاة والتى تعقب عادة القصف الجوى الشديد .. واقتصرت الخسائر على تدمير ممتلكات الأهالى الخالية من السكان..

ولم يتمكن قائد الكتيبة القائمقام " أحمد توفيق " وقواته من إخماد الحرائق الفسفورية طوال الليل الرهيب .. لكثرة عددها وسقوط العديد من القنابل التى لم تنفجر فى حينها .. واشتعلت بعد محاولات ابطال مفعولها ..

واطلق يومها لقب " أحمد فسفور " على القائد الشجاع " أحمد توفيق " الذى غامر بحياته فى اخماد قنابل الفسفور ..

واستمر قصف العدو للبلدة فى اليوم التالى ١٩ نوفمبر .. وكان تركيزه هذه المرة على المواقع الهامة مثل مراكز التموين ومبنى القيادة ولكن الجنود كانوا يتفادون الأضرار بالالتجاء الى المواقع المتبادلة من جهة والخنادق الواقية من القصف من جهة أخرى ..

وزاد اصرار العدو على تدمير بلدة الفالوجا قبل احتلالها .. فأغارت طائراته على موجات متعاقبة تلقى بقنابلها الثقيلة والحارقة طوال الليل على البلدة بلغ عددها اكثر من ٣٠٠٠ قنبلة ..

وتدخل القدر لإنقاذ القوة الصامدة .. فلم تصب الغارات الأهداف الحيوية .. وكانت القنابل تقع أمامها أو خلفها وتحول بعدها القصف الى عملية عشوائية لايحكمها " رابط " ..

وكانت الخسائر فى قوة الفالوجا تدمير وابور الطحين وإحدى ماكينات رفع المياه من الآبار ..

وتسبب تدمير وابور الطحين الى توقف طحن الغلال وصنع الخبز .. فاعتمد أفراد القوة على تحويل القمح الى نوع " مدشوش " أو استخدامه فى صنع البليلة المغلية .. فكان يصرف لكل جندى طبقاً من البليلة كل ٢٤ ساعة اقتصاداً فى القمح .. ومواجهة لطول الحصار المتوقع ..

أما تموين القوة من السجائر والشاى والسكر فقد نفد عن آخره فى الأيام الاولى للحصار .. واستخدم الجنود والضباط نوعاً من " الدخان الجبلى " وكان كريه الرائحة .. يدخنه الراغبون مضطرين ..

وواجه الجنود كل ظروف الحياة القاسية .. والقتال المستمر .. فى شجاعة وبسالة نادرة يواجهون الموت كل لحظة دون أن يطرأ عليهم أى خوف أو تردد ..

والغريب أن عدة محاولات من التجسس وقعت خلال الحصار لإرشاد العدو لمواقع داخل البلدة .. عن طريق اطلاق أنوار حمراء أو أصوات من بعض الأفراد المقيمين فى القرى المحاصرة .. وعندما تم اكتشافها تبين أن أصحابها من أهالى البلدان الفلسطينية ولم يثبت أن أحد الجنود المصريين أو المتطوعين العرب المحاصرين ارتكب خطأ أو تصرفاً يحاسب عليه .. وتم توقيع العقوبات الشديدة

على الجواسيس ومنها عقوبة الاعدام ..

خارج حدود المأساة التى عاشتها القوة المحاصرة فى الفالوجا كانت المحافل الدولية تتعامل مع الحدث باستخفاف غريب ومثير للعجب .. مثلها فى ذلك مثل رئاسة القوات المصرية فى غزة تماماً ..

ففى يوم ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ أصدر مجلس الأمن قراراً بفك الحصار عن الفالوجا وعودة القوات المتحاربة الى مواقعها الأصلية ولكن قراره لم ينفذ وأضاف الى قراراته المكومة على الرف قراراً آخر لم تعترف به اسرائيل ولم تنفذه ..

ولم تقم حكومة النقراشى باشا بأى محاولات للضغط السياسى على الدول الكبرى ،، لوضع حد للمذبحة الجارية فى الأرض المحتلة .

وبقيت قوة الفالوجا تعيش فى انتظار المجهول .. تقطع حياتها القاسية بعض الغارات الفردية التى تعيد لها الأمل ..

ولكن القدر لم يشأ أن يصيب القوة الشجاعة بالانهيار .. فقد انتصرت – فجأة – القوات المصرية فى معركتها الباسلة فى العريش بعد أن حرك العدو مدفعيته البحرية على مدينة غزة يوم ٢٢ ديسمبر تبعه بالهجوم البرى على بلدة " دير البلح " محاولاً اختراق خط الدفاع المصرى .. ولكن القوات المصرية تمكنت من طرد القوات المعتدية يوم ٢٦ ديسمبر فوجه كل قواته لمهاجمة الجناح الأيمن للجيش فى قطاع العوجة وعسلوج .. ونجح فى اختراقه ليندفع فى اتجاه العريش حتى صار على بعد ١٢ كيلو متراً منها .

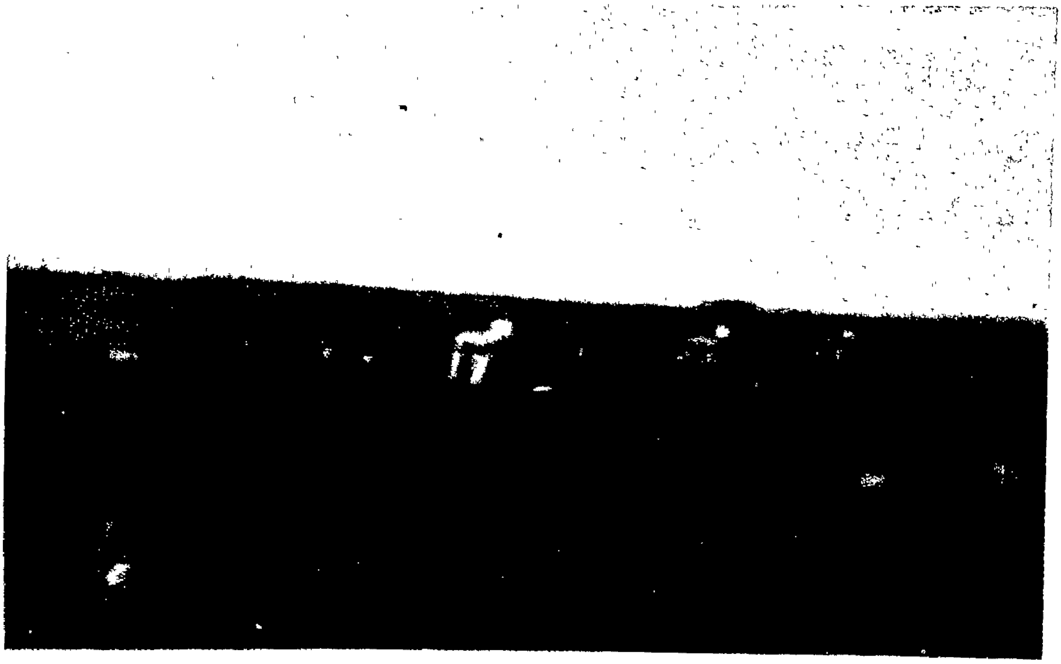
وفاجأت القوات المصرية القوات المعادية بهجوم مفاجىء يوم ٢٩ ديسمبر والقضاء عليها فى معركة حاسمة بالدبابات فقدفيها العدو أكثر من ١٠٠ دبابة طراز الشيرمان وعدداً كبيراً من المصفحات واضطر للانسحاب الى مواقعه السابقة فى ٣٠ ديسمبر .. تمطره غارات الطيران المصرى فتشتت بقاياه ودمرت

قواته المنسحبة .

وخضع العدو لقرار مجلس الأمن فى نفس اليوم بإيقاف القتال على كافة الجبهات العسكرية في فلسطين بإجماع أصوات الدول الدائمة وتعيين أكبر عدد من مراقبى هيئة الأمم المتحدة لتنفيذ القرار ..

وانتشر الخبر – فى مواقع القوات المصرية – على كافة الجبهات فى أرض فلسطين .. ورد العدو على القرار الدولى بإطلاق مدافعه المتقطعة على الفالوجا كما استمرت غاراته الليلية طوال يومى ٣٠ ، ٣١ ديسمبر بلغت ٥٠ قنبلة فى الدقيقة .. ولم تؤثر الغارات فى القوة الصامدة ..

وارتفعت أصوات النصر تدوى فى سماء الفالوجا المحاصرة .. توقفت بعدها مدفعية العدو يوم ٧ يناير ١٩٤٩ عن اطلاق قذائفها ناحية الفالوجا بعد تنفيذ قرار وقف اطلاق النار .. ووصول مراقبى الهدنة الى المنطقة الباسلة ..للإشراف على فك الحصار ..



القوات المصرية الباسلة تنسحب من الفالوجا بعد أن حققت أسطورة الصمود والانتصار



سيارات البوليس الدولى ترافق القوات المصرية المنسحبة من الفالوجا !!

الفصل الثامن

الانسحاب المكشوف

فى يوم ٧ يناير ١٩٤٩ سكتت مدفعية العدو عن اطلاق قذائفها ناحية جبهة الفالوجا .. وفى ٢٨ فبراير من نفس العام رحلت قوة الفالوجا عائدة للوطن بعد ١٣٢ يوماً قضتها تحت الحصار ..

ووجه الملك فاروق بعد ٢٤ ساعة من وقف القتال رسالة تهنئة للقوات على صمودها وبسالتها .. جاء نصها كالتالى :

" اللواء أحمد فؤاد صادق بك قائد عام القوات المصرية بفلسطين ..

أحييكم ضباطى وجنودى فى البر والبحر والجو فرداً فرداً على ماقمتم به من أعمال البسالة فى ميدان القتال والمجد والشرف وكنتم مثلاً أعلى للاقدام والشجاعة ..

وأذكر لقواتنا فى الفالوجا بطولتها وبسالتها التى سيسجلها لها التاريخ .. للجميع شكرى وتقديرى "

فاروق

وأرسل القائد العام الرسالة الملكية " للسيد طه " قائد الفالوجا التى أبلغها بدوره لكل أفراد القوة وردعليها الأخير برسالة تأييد للملك من جنوده الصامدين ..

وفى نفس اليوم ٨ يناير ١٩٤٩ أصدر اللواء عثمان مهدى باشا رئيس هيئة الأركان أمراً بنشر رسالة ملكية أخرى وجهها لكل أفراد الجيش يحيى فيها شجاعتهم واقدامهم على مواجهة العدو عسكرياً .. وتضحيتهم فى سبيل ارجاع الحق الى أصحابه الفلسطينيين ..

وبعدها بأربعة أيام بدأت مباحثات الانسحاب فى جزيرة رودس اليونانية بين

الوفدين المصرى والاسرائيلي تحت علم الأمم المتحدة وكانت تضم وفود العسكريين من مصر واسرائيل ..

وكانت المفاوضات حافلة بالمشاكل وأبرزها رفض الوفد العسكرى المصرى برياسة اللواء محمد ابراهيم سيف الدين الجلوس مع الوفد العسكرى الاسرائيلي برياسة ايجال يادين على مائدة المفاوضات ..

وفشل الوسيط الدولي الدكتور " رالف بانش " فى اجراء مباحثات مباشرة بين الطرفين مما هددها بالتوقف توصل بعدها الوسيط الدولى الى حل وسط بأن يجلس كل وفد فى حجرة مستقلة .. ويقوم رالف بانش بنقل وجهات النظر المتفق عليها فى بعض الأحيان والمختلفة فى معظم الأحيان ..

واتفق الطرفان على فك الحصار عن الفالوجا وترحيل القوات المصرية اعتباراً من ٢٤ و ٢٥ يناير ..

ووقعت مصر واسرائيل ـ اتفاقية رودس – التى تنظم عمليات الانسحاب بعد ساعات من القلق الذى ساور قوات الفالوجا وتوقع الغدر الاسرائيلى فى أية لحظة وتجعل من " الاتفاقية " ورقة لاقيمة لها .. لذا قررت القوات الصامدة رفع حالة الاستعداد القصوى للقتال لحين بدء عمليات تنفيذ الانسحاب ..

وفى يوم ١٨ يناير وصل الى الفالوجا طلائع مندوبى الهدنة التابعين للأمم المتحدة لبحث ترتيبات انسحاب قوات الفالوجا من مواقعها فى الموعد المحدد ونقل الجرحى الى غزة ابتداء من يوم ٢٠ يناير ١٩٤٩ على عربات اسعاف " دولية " ترفع علم الأمم المتحدة ..

وتم ترحيل الجرحى الى غزة أولاً – كما نصت اتفاقية رودس – تحت اشراف مندوبى الهدنة .. يومى ٢١ و ٢٢ يناير ..

وبدأت القوات المصرية بالفالوجا تحزم عتادها استعداداً للرحيل يوم ٢٣ يناير

وتتخذ مواقعها فى العراء بعد أن أخلتها من العتاد والذخيرة وكدستها عند نقطة القيام استعداداً للرحيل فى اليوم التالى ..

وصدرت التعليمات من القيادة المصرية بتأجيل بدء الرحيل لعدة أيم - دون سبب - وكانت صدمة تحولت بعدها الفرحة الى رعب قاتل خوفاً من أن تستغل اسرائيل الموقف وتكتسح القوات العارية المكشوفة .. والمنتشرة بدون غطاء فى الصحراء ..

والغريب أن اسرائيل لم تهاجم القوات المصرية وأضاعت منها فرصة ذهبية لتقضى على الأسطورة التى حققها الصمود المصرى فى الفالوجا .. وكان ذلك من حسن حظ هذه القوة الصابرة ..

وبقيت قوات الفالوجا فى العراء ٥ أيام .. تتوقع الهجوم المضاد فى أى لحظة .. وتحاول إعادة القوات الى مواقعها السابقة بينما تصلها رسائل القيادة بالانتظار .. وليس بإعادة الموقف الى ماقبل الاتفاق فى رودس ..

وفى يوم ٢٨ يناير وصل الى الفالوجا أول قول دولى حاملاً المواد التموينية ومواد الترفيه تحوط به عربات مراقبى الهدنة لضمان عبورها فى الأراضى الاسرائيلية الى أرض الحصار ..

وبدأت القوة المصرية تستقبل زوارها .. وفى مقدمتهم جماعة الكويكرز وهى جماعة " خيرية " أمريكية جاءت ومعها كميات كبيرة من الأغذية والملابس لتوزيعها على الجنود والأهالى لمواجهة الشتاء القارس ..

...

وصدرت نشرة ملكية فى ١١ فبراير ١٩٤٩ يوم " عيد الميلاد الملكى " بترقيات الضباط والجنود فى قوة الفالوجا تقديراً لبسالتهم وبطولتهم فى ميدان القتال ..

وكان من ضمن من نالوا العطف السامى من مجموعة الضباط ..

- جمال عبد الناصر وقد منحه الملك نيشان النجمة العسكرية تقديراً لبطولته .

– اليوزباشى محمد أحمد البلتاجى .. واليوزباشى حسن التهامى وحصلا على نجمة الملك فؤاد العسكرية .

– اليوزباشى حسن التهامى " للمرة الثانية " وحصل على مشبك نجمة الملك فؤاد العسكرية .

– اليوزباشى محمود كشك .. واليوزباشى حسن محمد أحمد عبد النبى . واليوزباشى أحمد متولى حسن .. والملازم أول ابراهيم بغدادى .. والملازم ثان وليم وحصلوا على نوط محمد على الذهبى .

– اليوزباشى محمد عيسى الملاح .. واليوزباشى محمد رشاد الحجاوى . والملازم أول حسن صبرى اسماعيل .. والملازم أول سلامة حسن مصطفى والملازم أول محمد أمين فريد والملازم ثان شمس بدران والملازم ثان سعد عياد وحصلوا على نوط الجدارة الذهبى .

– اليوزباشى محمد عيسى الملاح (للمرة الثانية) والملازم أول حسن صبرى اسماعيل (للمرة الثانية) وحصلا على مشبك نوط الجدارة الذهبى .

وتوالت على الفالوجا قولات التموين والترفيه بشكل ملحوظ وكأنها محاولات لتعويضهم عن حياة الحرمان .. أو احتفالاً بفك الحصار .. أو اشغال المحاصرين عن التفكير فى موعد الرحيل ..

استمر بقاء قوة الفالوجا فى العراء طوال شهر فبراير قضوها فى قلق وانتظار .. بينما سمحت الأمم المتحدة للأهالى المهاجرين من البلدان الواقعة تحت الأسر بالعودة الى الفالوجا .. ولتستمر الأيام التالية فى اعادة الحياة لطبيعتها وسط حفلات الترفية وقطع الأيام الباقية على الرحيل فى البقاء تحت الشمس انتظاراً لقدوم العربات التى تقل الجنود الى القاهرة ..

وأقامت قيادة الفالوجا نصباً تذكارياً للشهداء فى البلدة ضم أسماء كل من

حاربوا واستشهدوا ودفنوا فى ميدان القتال ابتداء من لحظة الحصار فى ١٦ أكتوبر ١٩٤٨ وحتى يوم الرحيل فى ٢٨ فبراير ١٩٤٩ .

وفى يوم ٢٦ فبراير اصطفت قوات الفالوجا أمام النصب التذكارى للشهداء يودعون رفاقهم ويؤدون لهم التحية العسكرية ليستقلوا عرباتهم ايذاناً بالرحيل ..

وفى يوم ٢٧ فبراير بدأ تحرك القوات الراحلة على فوجين خلال يومى ٢٧ و ٢٨ فبراير .. تحت حراسه مراقبى الهدنة الى المنطقة التى تحتلها القوات الاسرائيلية بين الفالوجا وغزة ..

وسارت قولات قوة الفالوجا تحت المطر والبرد الشديد ومعهم العتاد والاسلحة والذخيرة ترفرف عليها الاعلام البيضاء رمز قوات الأمم المتحدة ومراقبى الهدنة ..

وعبرت القوات بلدان عراق سويدان .. وكوكبة والحليقات البرير .. وكانت خالية من الحياة بعد أن دمرتها نيران الحرب وهجرها أهلها وتحولت الى خرائب تقاسى الدمار..

ووصلت القوة الصامدة الى غزة .. حيث هبطت من عرباتها لتتجمع فى الميدان الكبير .. وهتف الأهالى بحياة أبطال الفالوجا .. وقائدها " الضبع الأسود " ..

وصدرت الأوامر من القيادة لكتائب الحصار بالتجمع فى مدينة العريش ..

وصدرت أوامر أخرى بتسليم سلاح الكتائب الى القيادة فى رفح ..

وكان معنى الأوامر ان تدخل القوات " العريش " بدون سلاح ..

ومعناها أن تسلم جميع الرشاشات ومدافع الماكينة المتوسطة وحمالات البرن والذخائر الخاصة بهذه الأسلحة الى القيادة ..

وألا يصل الى العريش من قوات لواء الفالوجا إلاحملة البنادق فقط ولكن بدون ذخيرة..

وصدرت التعليمات بأن تتجمع القواتِ العائدة فى معسكر خاص فى مكان

منعزل بعيداً عن المدينة ويقع فى شمال شرق العريش ليقضى الجنود لياليهم فى الخيام .

أما الضباط فتم تحديد اقامتهم فى مستشفى العريش ليجدوا فيها راحتهم بعد رحلة العودة من الحصار ..

وانفصل الضباط عن الجنود لأول مرة منذ الحصار بعد أن وصلوا الى أرض الوطن ..

بدأت الاحتفالات بعودة القوات الظافرة فى معسكرات العريش .. وفى إحداها اشار اللواء فؤاد صادق قائد القوات المصرية فى إحدى خطبه الى صراعه مع بعض مراكز القوة فى القيادة العامة بالقاهرة ..

وأطلق على اسم كبيرهم (موسى شيراتيك القاهرة) وشبهه بموسى شرتوك . وكان أحد كبار السياسة فى اسرائيل ..

وكان صادق باشا يقصد فى تشبيهه بموسى شيراتيك الفريق محمد حيدر اشا وزير الحربية والبحرية ..

وزار وزير الحربية قوات الفالوجا فى معسكرها بالعريش يوم ٢ مارس مندوباً عن الملك وأطلق اسم لواء الفالوجا على أحد ألوية الجيش تكريماً لذكرى الأبطال .

وأعلن حيدر باشا فى حفل التكريم تمييز أبطال الفالوجا عن باقى أفراد الجيش بشارة خاصة يضعها الأبطال على الذراع الأيسر وترتدى دائماً مع الملابس العسكرية .

ووضع الوزير شارة الفالوجا على ذراع " الضبع الأسود " تقديراً للأبطال .

وقرأ اللواء أحمد رياض - كاتم أسرار وزارة الحربية - فى الحفل قائمة الانعامات الملكية بالنياشين والانواط على الجنود ..

وفوجىء قادة الكتائب الثلاث التى خاضت حرب الحصار بعدم ذكر اسمائهم

فى قائمة الانعامات السامية سواء أكانت بأوسمة أو " ذكر حسنى " !!

ولاحظ ضباط الكتائب .. أن ترحيب القائمين على حفل تكريم " الوزير للقوة الشجاعة " اقتصر على كبار الضيوف من ذوى الرتب الكبيرة المرافقين له !!

ولم يوجه الى افراد القوة التى عانت الحصار ١٣٢ يوماً .. أى اهتمام بهم !!

ولاحظ جنود الفالوجا أن مئات الصولات والصف والجنود ممن لم يشتركوا فى الحصار قدشغلوا الأماكن الخاصة بهم فى سرادق الاحتفال وتركوهم بدون مقاعد لينتهى الحفل وسط الفوضى والاثارة والتهريج وليختتم بالهتاف بحياة مولانا الملك المعظم حامى جنود الصمود !!

وتحركت القوات من العريش يوم ٦ مارس بعد أن زينت الورود والاعلام عربات القطار الى القاهرة .

وأصر قائد الفالوجا " الضبع الأسود " على مرافقة القوات الصامدة فى القطار تكريماً لبطولة جنوده الأبطال وسط هتافات آلاف المواطنين الذين اصطفوا على محطات القطار لتهنئة العائدين ..

ووصلت القوات الى ثكنات العباسية ظهر يوم ٧ مارس واستقبلتها قوات الجيش بالموسيقى والهتاف .. ليقضوا ليلتهم الاولى فى القاهرة ..

واكتمل لواء الفالوجا بالكامل حيث انضم اليهم كل الافراد الذين شاركوا فى الحصار .. سواء أكانوا جرحى أو ممن نقلوا الى اسلحة أخرى أو كانوا فى اجازات..

ولم يصدر الفريق حيدر باشا وزير الحربية والبحرية قراره بتكوين لواء الفالوجا كما أعلن فى خطابه الذى القاه فى العريش قبلها بأيام ..

وانطلقت الشائعات أن هناك اتجاهاً لتصفية هذه القوات .. وكانت بدايتها عدم الاهتمام بهم ..

وبقيت قوات الفالوجا فى معسكرات العباسية ثلاثة أيام حتى صدر لها الأمر بالاستعداد لاحتفالات الاستقبال الملكى فى ميدان عابدين يوم ١٠ مارس بحضور الملك فاروق ..

وأصر " الضبع الأسود " على أن تصاحب القوة الاسلحة والذخائر التى حاربت بها طوال الحصار وقام بتسليمها للقيادة فى رفح .. ولكن قيادة الجيش رفضت طلبه واستبدلتها بنوعيات مماثلة احضرتمن الوحدات الأخرى لتظهر أمام الملك فى ميدان عابدين ..

وفى ١٠ مارس تجمعت قوة الفالوجا فى ميدان محطة مصر لتشق طريقها بخطواتها العسكرية عبر شارع ابراهيم (الجمهورية حالياً) فميدان الاوبرا الى شارع عابدين الى الميدان الملكى لتصطف فى شكل " مربع ناقص ضلع " مواز لشرفة القصر الملكى ..

ويدأ موكب الاستعراض بالضبع الأسود وهو يمتطى دبابة تشيرمان ويسير بها وسط قواته بينما تهتف بحياته الجماهير ..

واستعرض الملك قوات الفالوجا بعد أن خرج من قصر عابدين وسط هتاف الجماهير .. ليقبل الضبع الأسود ويشد على يده قبل أن يستقل السيارة الملكية وبجواره " القائد البطل " فقط حيث قاما بتفقد القوات .

ثم صعد الملك للشرفة حيث مرت من أمامه جميع الوحدات المقاتلة لتأدية التحية للقائد الأعلى للقوات ..

وتحول يوم ١٠ مارس الى عيد للصمود .. ولم يطلق عليه عيد الفالوجا ..

وعادت القوات الى ثكناتها فى العباسية بعد انتهاء الاستعراض وانهالت برقيات التهنئة من الملوك والرؤساء والشخصيات الكبرى فى العالم الاسلامى .. الملك عبد العزيز آل سعود (السعودية) والرئيس شكرى القوتلى (سوريا) ..

والرئيس بشارة الخورى (لبنان) .. والأمير عبد الكريم الخطابى (بطل المغرب) .. والشيخ محمد عواد (رئيس بلدية الفالوجا) ..

كما اقيمت الحفلات لتكريم الابطال حيث غنت لهم أم كلثوم أغنية " غلبت اصالح فى روحى " فى حفل اقامته لهم فى مسرح الازبكية بعد أن أقامت لهم حفل شاى فى فيلتها بالزمالك .

وفى الحفل تعرف الكاتب الكبير مصطفى أمين على جمال عبد الناصر لأول مره بعد أن قدمه له " ابراهيم بغدادى " ضابط الفالوجا " وأحد الضباط الأحرار ..

ونشرت جريدة جراشوت اليهودية فى القدس رسالة لمراسلها المرافق للقوات اليهودية فى فلسطين مقالاً بعنوان " فراعنة الوادى يعودون الى بلادهم " ذكروا فيها بطولات جنود الفالوجا اثناء الحصار ..

وصدرت أوامر وزير الحربية حيدر باشا بمنح أفراد القوة أجازة لمدة شهر يقضونها بين الأهل ثم يعودون بعدها الى ثكناتهم بالعباسية التى استقبلتهم عند العودة من العريش ..

لتبدأ مرحلة التشريد ..



كوكب الشرق أم كلثوم احتفلت بعودة أبطال الفالوجا فى فيلا الزمالك ..
بعد عودتهم للوطن والتقت لأول مرة بعبدالناصر الذى حضر الحفل.

الفصل التاسع

قائد على ورق

لقى أبطال الفالوجا جزاء سنمار نظير بطولتهم وصمودهم على يد الفريق محمد باشا حيدر وزير الحربية عقب عودتهم من اجازات الافراح التى منحها لهم وبعد استعراض الملك لهم فى ميدان عابدين .. لتبدأ بعدها مأساة تشريدهم وتصفية اعدادهم ومحو بطولتهم من التاريخ العسكرى للأبد ..

ويظل " اللغز " صامتاً باحثاً عن تفسير لاصرار قادة الجيش المهزوم على طمس كل بطولتهم والتقليل من شأنهم .. وتشتيت أفرادهم بين المعسكرات والاقاليم لتختفى للأبد هذه البطولة النادرة ..

وليبقى السؤال قائماً : لماذا فعل حيدر باشا ذلك بقوات الفالوجا ؟

وهل هى عادة فرعونية قديمة فى أن يطمس الاله كل بطولات سابقة ؟؟

أم هى خشية من عمل " ما " استشعر فيه قائد الجيش أن تقوم به القوات التى صمدت وعانت غرور القادة فقررت عمل شىء بعد عودتها لثكناتها ؟؟

أم هو جهل وغباء عسكرى سيطر على قدرات القائمين على قيادة التخطيط للمعركة من مقر قيادتهم من القاهرة .. فخشوا أن يفضح قادة كتائب الفالوجا أسباب الهزائم المتواصلة التى منى بها الجيش المصرى فى فلسطين ؟ وغيرها من الأسباب الحائرة التى اتخذها قادة الهزيمة فى الاطاحة بالقوة الصامدة ..

ويذكر محمد حسنين هيكل فى كتاباته .. إن حيدر باشا - القائد العام - منع الصحفيين المصريين والمراسلين الاجانب من متابعة وقائع حرب فلسطين أو مرافقة القوات المحاربة بعد أن كثرت الهزائم على الجيش المصرى .. وكانت تقضى تعليماته بحصول المراسلين على بيانات سير المعارك من ادارة الشئون العامة

التابعة للقيادة العسكرية بالعباسية ..

وان العديد من الصحفيين المصريين - وهو منهم - رفضوا تعليمات حيدر باشا وسافروا الى فلسطين لمتابعة المعارك .. دون موافقته ..

وذكر هيكل أنه ذهب الى فلسطين أكثر من مرة ورافق قوات المتطوعين العرب والمصريين مثل قوات اليرموك الرابع .. والفداء .. والجهاد المقدس .. وكتب عنها سلسلة من التحقيقات الصحفية فى جريدة أخبار اليوم ..

وأنه رفض تعليمات " حيدر باشا " وأصر على الذهاب الى الفالوجا وانتقل من القاهرة الى الأردن بالطائرة ومنها الى القدس وبيت لحم بالسيارة عن طريق المستعمرات " رامان " ثم الى مدينة الخليل فالمجدل وكان مرافقاً - وقتها - لقوات المتطوعين بقيادة البكباشى أحمد عبد العزيز .. ومنها وصل إلى الفالوجا حيث قابل عبد الناصر .. لأول مرة أمام مركز عراق سويدان ..

وإن حيدر باشا كان يعتمد فى ذكر البيانات الرسمية غير الدقيقة عن المعارك الدائرة بين القوات المصرية والاسرائيلية على الاذاعة مثل اذاعة راديو القاهرة لانتصار الجيش فى مستعمرة " الدنجور " بينما الحقيقة تؤكد أن الكتيبة السادسة مشاة التى شاركت فى القتال قد منيت بخسائر فادحة فى العتاد والارواح مما جعل قادتها يشعرون بالاحباط مما يجرى فى القاهرة من تصرفات ..

ونفس الشىء بالنسبة لتخبط القرارات والأوامر المتضاربة التى كانت ترسلها رئاسة القوات المصرية فى غزة الى القوات المحاصرة فى الفالوجا حيث كانت تطلب منها الانسحاب الى الخليل تحت نيران العدو دون أن تعرف نتائج هذه الاوامر الخطيرة من آثار مدمرة وكيف رفض الضبع الأسود قائد الفالوجا تنفيذ أوامر رئاسته لأنها ستؤدى إلى مذبحة مؤكدة وليكون رفض الضبع الأسود "

لأوامر المذبحة " السبب المباشر فى صدور تعليمات " تشريد " القوة بعد وصولها أرض الوطن ..

وعلى أى حال لم تمض الا أيام قلائل على عودة القوات الشجاعة من الاجازة التى منحوا إياها الى معسكراتهم فى العباسية حتى صدرت الأوامر الرياسية بتشريد كتائب المشاة التى اشتركت فى حصار الفالوجا بين الاقاليم

- نقلت الكتيبة الأولى مشاة الى منقباد ..
- ونقلت الكتيبة الثانية مشاة الى أسوان ..
- ونقلت الكتيبة السادسة مشاة الى الاسماعيلية ..

أما الوحدات المساعدة مثل مدافع الماكينة والمدفعية وغيرها فعادت الى وحداتها الاصلية .. وكانت بعيدة هى الأخرى عن القاهرة ..

ونفذت قيادات الكتائب أوامر النقل ودخلت تحت قيادة ألوية جديدة .. وذابت قواتها بين أفرادها ..

وتبدد شمل قوات الفالوجا ..

وأصدر حيدر باشا أوامرا أخرى باحالة الجنود والصف الابطال الى المعاش أو الاستيداع ..

وصدرت الأوامر لقادة " المناطق " العسكرية بتعميم تعليمات لكتائب الفالوجا التى نقلت اليها بعدم ذكر أعمال القتال التى قاموا بها أو للبطولات التى حققها أفرادها .. أو لصور الصمود التى خاضوها .. أو الحصول على أى مزايا تتيح لهم وضعاً خاصاً بين قواتها .. وكان هذا هو المقصود ..

وبدأت الحقيقة النهائية تظهر وتتضح بعد أن صدرت النشرة العسكرية رقم ٥ فى ٤ مايو ١٩٤٩ بمنح الضبع الأسود قائد القوات المصرية فى الفالوجا رتبة الباكوية من الدرجة الاولى اعتباراً من أول مارس ١٩٤٩ ..

وصدور النشرة رقم ٧ فى ٢٤ مايو ١٩٤٩ بتعيين الضبع الأسود الاميرالاى أ. ح السيد طه بك قائد الكتيبة الاولى مشاة قائداً للواء الأول مشاة ..

واكتشف قائد الفالوجا .. سر " اللغز " فى الصراع الشخصى بين " الضبع الأسود " و" حيدر باشا " منذ فترة طويلة خاصة أثناء الحصار ومانعكس عليه الوضع فى النشرة الأخيرة عندما تبين أن " الضبع الأسود " كان قد ترقى الى رتبة الاميرالاى (العميد) منذ ٨ نوفمبر ١٩٤٨ واسندت اليه قيادة القوات المصرية بالفالوجا .. وعومل على أساسها فى كل المناسبات والمهمات والواجبات التى اسندت اليه .. بينما تكشف النشرة رقم ٧ أن التكليف لم يكن " رسمياً " ويقى قائداً لكتيبة وليس قائداً للواء الفالوجا يضم ثلاث كتائب هى الاولى والثانية والسادسة .. دون قرار حتى صدرت النشرة الاخيرة .

وبمعنى آخر كان قائد على ورق ..

وتزيد المأساة أبعاداً أخرى حيث ترددت شائعات بين قوات الفالوجا عن عتقال " الضبع الأسود " والتحقيق معه تمهيداً لمحاكمته هو والقادة الذين عاونوه فى فترة الحصار بسبب عدم تنفيذ قرار الانسحاب من الفالوجا أو مايطلق عليها " أوامر المذبحة " التى أرادها القادة المغرورون .. والتى رفضها " الضبع الأسود " .. من أجل انقاذ مايزيد على ٤٠٠٠ جندى وضابط ومثلها من أهالى البلاد ..

واعتكف الضبع الأسود فى بيته لايبارحه ..

وانتظر ضباط القوة أوامر اعتقالهم .. أو تسريحهم أو التخلص منهم فى أى لحظة ..

ويزداد اللغز تعقيداً .. حول السر فى ضرورة تسليم أسلحة القوة لرئاسة القوات فى رفح يوم العودة .. لتدخل معسكرها باسلحة بدون ذخيرة وبعد أن تبين أن هذا " الأمر " لم يكن مدرجاً فى نصوص اتفاقية الهدنة فى رودس ..

الفصل العاشر

من قتل أحمد عبد العزيز ؟

كان لعبد الناصر مقولة شهيرة يرددها دائماً كلما جاءت ذكرى حصار الفالوجا أو تنظيم الأحرار ..

كان يقول لمن حوله .. " لقد كنا نحارب فى فلسطين ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر .. كانت رصاصاتنا تتجه الى قلب العدو الرابض أمامنا فى خنادقه وقلوبنا تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه "

واكتشف عبد الناصر صدق مقولة قائده الروحى البكباشى أحمد عبد العزيز قائد المتطوعين العرب قبل استشهاده برصاصة خائنة " إن ميدان الجهاد الاكبر فى مصر وليس خارجها " ..

ولقى البطل احمد عبد العزيز قائد الفدائيين مصرعه فى ظروف غامضة .. ومازال مصرع القائد لغزاً من الألغاز .. لم تكشف أسراره حتى الآن .. وانحصرت الجريمة فى طلقة طائشة أطلقها عليه جندى مصرى من نقطة " حراسة " ونفذ فيها تعليمات صادرة اليه بإطلاق النيران على أى شخص يقترب من الموقع ولايعرف كلمة السر ..

وكان الشهيد لايعرف هذه الكلمة ..

وعند عراق المنشية سقط البطل مضرجاً فى دمائه ..

وظروف مصرعه رواها البكباشى عزيز حيدر أركان حرب الكتيبة الأولى مشاة والواقعة تحت الحصار فى الفالوجا فى مذكراته عندما قال بالنص ..

" فى الساعة ٢٠٠٠ يوم ٢٢ أغسطس ١٩٤٨ كان البكباشى أ. ح أحمد عبد العزيز قائد المتطوعين المصريين ببيت لحم ومعه اليوزباشى أ. ح صلاح سالم

أركان حرب القوات المصرية فى المجدل .. فى طريقهما من الخليل الى عراق المنشية على سيارة جيب ..

وما إن وصلت السيارة الى مرمى الأسلحة الصغيرة من خطوط دفاعنا شرقى الفالوجا فى عراق المنشية حتى فتح المدافعون نيرانهم على السيارة فأصيب البكباشى أحمد عبد العزيز برصاصة فى جانبه الأيمن فنزل ومن معه من السيارة ورقد على الأرض وتقدم اليوزباشى صلاح سالم للمدافعين رافعاً يديه معلناً عن نفسه حتى تمكن من اقناعهم بأنه ليس من الأعداء ..

وأفهمهم بحالة من معه فسمحوا لهما بالاستمرار فى السير وأخطرونا تليفونياً من عراق المنشية بالحالة ..

وفى الطريق كان المصاب قد توفى بسبب مانزف منه من دماء فوصل عندنا بالفالوجا وكان قد أسلم الروح فسادنا الحزن جميعاً وأسفنا أشد الأسف على وفاته بأيدى جنودنا ..

ولقد وجه كثير من اللوم لمن اطلقوا النيران على السيارة وتسببوا فى وفاته بل وأراد بعض القادة عمل تحقيق لمحاكمتهم إلا أننا وقفنا فى سبيلهم .. لأن الجنود أدوا واجبهم .. ونفذوا الأوامر الصادرة لهم بإطلاق النيران على أى سيارة مهما كان نوعها تحاول الدخول ..

وقد كان المتبع أن تعطى اشارة لاسلكية من قوة بيت جبرين أو عراق سويدان بأن فلاناً قادم فى طريقه الينا بسيارة أو أكثر وفى هذه الحالة نتوقع انتظار القادم ومروره بسلام ..

وقد اتبع أحمد عبد العزيز هذه الطريقة مراراً قبل ذلك الا أن القدر المحتوم جعله يهمل اخطارنا فكان القضاء وصم القدر ..

وبوفاته فقدت مصر بطلاً من أبطالها الذين رفعوا من شأنها فى هذه الحرب

.. وأن مواقفه من قيادة المتطوعين المصريين فى غزة وفى حماية الجانب الأيمن للجيش المصرى عقب انسحاب الأردنيين من اللد والرملة بدون انذارنا ودفاعه المجيد ضد هجمات اليهود على بيت لحم ..

كل ذلك يشهد له بالبطولة النادرة .. وقد شهد له الأعداء بهذه البطولة قبل أن تشهد له الأمة المصرية .. والفضل ماشهد به الأعداء .. "

كانت هذه صورة مقتل " البطل " كما رواها قائد الكتيبة الأولى .. ولكن ملابسات الحادث تلقى ظلالاً على أسبابها وظروفها ولاتترك اسرارها للقضاء والقدر .

فالقصة لها جانب آخر ..

– جانب عسكرى .. يروى علاقة البطل أحمد عبد العزيز .. وجماعة المتطوعين ممن دخلوا فلسطين محاربين وفدائيين قبل دخول الجيوش العربية المعركة رسميا بقرار من الجامعة العربية ..

– وآخر دينى .. يروى علاقة الشهيد بجماعة الاخوان المسلمين باعتبارها الركيزة الاولى فى تكوين المتطوعين المصريين ..

– وثالث سياسى .. يروى علاقة البكباشى أحمد عبد العزيز وحكومة النقراشى باشا التى كانت تتولى الحكم إبان معركة فلسطين ..

– ورابع تآمرى .. يروى ظروفاً أخرى للحادث .. وهل كان اغتيالاً دبرته وخططت له أصابع اسرائيلية لها مصلحة فى اختفاء " البطل " ومجموعته بعد أن حققت المستحيل وحررت مناطق فلسطينية عديدة لم تستطع أن تقوم به الجيوش العربية ؟

وغيرها .. وغيرها .. من الجوانب التى تكشف عنها المأساة ..

فى عام ١٩٤٧ كلفت الجامعة العربية الأمين العام عبد الرحمن باشا عزام ببدء

اتصالات مع الحكومة المصرية بتكوين فرق من المتطوعين يقومون بعمليات فدائية داخل الاراضى الفلسطينية رداً على عمليات الإرهاب الوحشية التى يتعرض لها أهل البلاد من الفلسطينيين من العصابات الصهيونية وخاصة الهاجاناة والأرجون وشتيرن ..

وكان أقربها مذبحة " دير ياسين " يوم ٩ أبريل ١٩٤٨ عندما قامت مجموعات من عصابة الأرجون بقيادة مناحم بيجين (رئيس وزراء اسرائيل الذى عقد الصلح مع السادات عام ١٩٧٧) بذبح ٢٤٥ شخصاً من الرجال والنساء والأطفال من السكان وفروا تحت ظلام الليل بعد أن القوا الكثير من جثث القتلى فى بئر القرية قبل أن ينسحبوا من مسرح الجريمة مما أثار الذعر وسط الأهالى الأبرياء ودفع ألوف المدافعين للهروب من قراهم فراراً من الموت ..

وكانت هذه المذبحة أحد الضغوط السياسية على ضرورة تكوين فرق من المتطوعين العرب المدربين لمواجهة عمليات الأرهاب الصهيونى .

وبدأت الاتصالات المكثفة مع الحكومة المصرية لتكوين هذه الفرق بقيادة ضباط مصريين على أن تتولى الجامعة العربية الانفاق عليهم وتمويل تسليحهم ..

واندفع الشباب والرجال فى مصر للانخراط فى معسكرات التدريب واختيرت معسكرات جماعة الاخوان المسلمين بالقاهرة والمحافظات لتكون مراكز للتدريب ..

واختير الصاغ محمود لبيب للاشراف على التدريب .. والبكباشى أحمد عبد العزيز لقيادة فرق المتطوعين يعاونه الصاغ كمال الدين حسين .

وتم تدريب أول كتيبة من المتطوعين من الاخوان المسلمين فى ٢٥ أبريل ١٩٤٨ وأتم الرائد محمود لبيب تدريب مايزيد على ١٢٠ ألف متطوع من الاخوان المسلمين والفلسطينيين من مدينة الخليل وبيت لحم وصور والقدس العربية ودير سبع وكان لديهم من الأسلحة والذخيرة ماجعلهم يمثلون جيشاً كاملاً مدرباً على أحدث

الأسلحة .

وبدأت الكتيبة الأولى أولى عملياتها فى ٥ مايو ١٩٤٨ فى خان يونس حيث نسفت قضبان السكك الحديدية .. كما هاجمت المستعمرات اليهودية والقوافل المعادية تفتك بها وتستولي على أسلحتها حتى وصلت الى بيت لحم وأشرفت على القدس الاسرائيلية ..

وتشكلت الكتيبة الثانية من المتطوعين بقيادة البكباشى عبد الجواد طبالة واشتركت فى الدفاع عن غزة وتولت حصار بعض المستعمرات الاسرائيلية وقامت بحراسة النقط الهامة فى مواصلات الجيش المصرى ..

وأزعج نشاط البطل أحمد عبد العزيز وزملائه فى الاراضى الفلسطينية قيادات العدو الاسرائيلى لخطورة المهام التى يقومون بها من ناحية .. وعدم تمييزهم كقوات نظامية تخضع لاتفاقيات الهدنة من ناحية أخرى وكان لابد من القضاء على هذا البطل الشجاع ..

وكان تدبير مؤامرة فى الظلام للتخلص من أحمد عبد العزيز أمراً وارداً خاصة عندما وصل بقواته الى مشارف القدس الاسرائيلية ليلة عيد الأضحى المبارك وبدأ فى حصارها بقواته واستعداده للهجوم .. والاستيلاء عليها ليحقق مالم تحققه الجيوش العربية نفسها ..

وقد استغاث المحاصرون فى القدس الاسرائيلية .. بـ " بن جوريون " رئيس حكومة اسرائيل بالتدخل لانقاذهم من المذبحة القادمة ..

ورد عليهم بن جوريون بقوله :اصبروا فسينتهى كل شيء فى الوقت المناسب .

واستدعت اشارة غامضة أحمد عبد العزيز لمهمة عاجلة فى نفس الليلة .. وكان الاستدعاء بناء على أوامر من رئاسة القوات المصرية فى المجدل حملها اليه اليوزباشى صلاح سالم (عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد) حيث صحبه ومعه

زكريا الورداني في سيارة جيب الى مركز الرئاسة في المجدل ..

وكانت المجدل مكان المؤامرة .

وكان اليوزباشي صلاح سالم يقود السيارة .. وبجواره البطل أحمد عبد العزيز ويجلس خلفهم الورداني ..

ومرت السيارة في الطريق على نقطة بيت جبرين قبل الغروب بربع ساعة وكان يتمركز بها اليوزباشي حسن التهامي وصعد اليه الجندي المرابط يبلغه بوصول أحمد عبد العزيز ومن معه عند نقطة حراسة الطريق ويطلب السماح بالمرور والاستمرار الى المجدل ..

وأمر حسن التهامي الجندي بالنزول ليطلب من أحمد عبد العزيز عدم الاستمرار لحلول ظلام الغروب خلال سيره الى عراق المنشية وهو في طريقه الى المجدل .. وحتى لايتعرض لاطلاق النيران عليه ..

وطلب التهامي من أحمد عبد العزيز أن يبقى الليل في بيت جبرين حتى الفجر ليستأنف مسيرته .. وليكون قد أبلغ المواقع المصرية بمروره بوقت كاف ..

ونزل حسن التهامي من موقعه محذراً ولكن أحمد عبد العزيز صاح .. " أنا في غاية الاستعجال "

وانطلق صلاح سالم بالسيارة حتى اقترب من عراق المنشية وهناك انطلقت الرصاصة الغادرة لتصرع أحمد عبد العزيز ..

* * * * * * * * * * *

ويروى حسن التهامي في مذكراته بقية الرواية المثيرة فيقول :

" عندما انطلقت السيارة من بيت جبرين .. وعند مشارف عراق المنشية نادى بعض الجنود على السيارة بنداء " قف " وتساءلوا : من أنت ؟ وعلى بعد ١٠٠ متر من السيارة كان النداء هو عمل أي داورية حراسة ..

فلما لم تتوقف السيارة أطلق عليها أحد الجنود الطلقة الاولى للتحذير وحتى

يجبر السيارة على التوقف وليتعرف على قائدها .. ولكن السيارة استمرت فى السير ..

فأطلق الجنود رصاصة أخرى أصابت أحمد عبد العزيز ولم تصب قائد السيارة (صلاح سالم) ..

استقرت الرصاصة القاتلة فى الجانب الأيسر المجاور لقائد السيارة وتخللت جسده الى أن استقرت فى كبده فى الجانب الأيمن .. وعندئذ توقفت السيارة .. بعدها أطلق جنود الحراسة عدة رصاصات أخرى فى الهواء لم تصب السيارة ذاتها بأى سوء ..

وعلى الفور نقل أحمد عبد العزيز داخل عراق المنشية .. حيث قضى بعض الوقت فى اسعافه ثم نقل فى نفس الليلة الى المجدل حيث مركز رئاسة القوات المصرية التى استدعته أساساً والتى قام منها صلاح سالم بسيارته لاحضاره ..

وكانت عراق المنشية تبعد عن المجدل بحوالى ٤٥ - ٥٠ كم .. سارت فيها السيارة الجيب تحمل المصاب ومعه رفاقه .

ولم تكن حالة القائد تسمح بالانتقال من مكان اصابته وليس بالسير هذه المسافة الطويلة فى الطريق الوعر ..

وأجرت قيادة عراق المنشية اتصالات بالمجدل تبلغها بالحادث الأليم وأن المصاب فى الطريق اليها وعندما وصل أحمد عبد العزيز الى المجدل كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة ..

وتستمر شهادة حسن التهامى الخطيرة فيقول :

" إن استدعاء أحمد عبد العزيز للمجدل كان هدفه اتخاذ اجراء معه يقضى بابعاده عن جبهة القتال على وجه السرعة فى هذا اليوم ولو مؤقتاً وعزله من قيادة المتطوعين فيما بعد خاصة فى اللحظة التى كان يستعد فيها للاستيلاء على مدينة

القدس الاسرائيلية ..

ويشير فى اتهامه .. الى أن الاستبعاد كان بأمر من محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الحكومة فى ذلك الوقت .. وكان هذا بناء على طلب اليهود أيضاً ..

وأن البطل أحمد عبد العزيز كان يشعر شعوراً خفياً بابعاد مؤامرة الاستدعاء لذا كان يسرع فى الوصول الى رئاسة القوات ليقنعهم بعدم الموافقة على قرار الهدنة ولو لمدة ٤٨ ساعة يستولى فيها على القدس الاسرائيلية .. ولكنه لم يفكر لحظة فى أن التخلص منه سيكون بالاغتيال ..

ووصل الخبر الى رجاله المتطوعين المنتظرين لحظة الزحف على القدس الاسرائيلية فى اشارة من ٦ كلمات .. " أن أحمد عبد العزيز قد مات " ..

ودون كلمة ترك المتطوعين مهمتهم وانصرفوا بعيداً عن الميدان

وتبرز الأسئلة :.

– متى لفظ أحمد عبد العزيز أنفاسه الأخيرة .. هل فى عراق المنشية .. أم فى المجدل؟؟ والتوقيت نقطة هامة جداً لتحديد ظروف الحادث .

– وهل كان اليوزباشى صلاح سالم مرافقاً لأحمد عبد العزيز فقط أم كان هناك شخص آخر هو زكريا البردينى ؟؟ ولماذا لم يذكروا اسماء قادة عراق المنشية وهم يروون تفاصيل الحادث ؟؟

– وأين كان جمال عبد الناصر وقت الحادث خاصة أنه يشغل منصب أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة ومقرها عراق المنشية .. وهل كان له دور أم كان غائباً عن الموقع خاصة أن اسمه لم يذكر أيضاً خلال ذكر ظروف الحادث ؟ ولماذا لم تقم القوة المرابطة بها باسعافه فور اصابته ؟؟

– كيف أصابت الرصاصة القاتلة الشهيد كما ذكر التهامى من إنها استقرت فى الجانب الأيسر لأحمد عبد العزيز ومنها للكبد بينما لم تصب صلاح سالم رغم

أنه كان فى وضع حماية للمصاب الجالس فى المقعد الأيمن المجاور له ؟

- لماذا لم يتوقف صلاح سالم بالسيارة فور اطلاق النار كما روى التهامى واستمر فى السير ؟؟ ولماذا لم يطلق عليه جندى الحراسة الرصاص بدلاً من أحمد عبد العزيز باعتباره قائد السيارة ؟

- ولماذا لم يذكر رواة حكاية " عراق المنشية " السبب فى مهمة أحمد عبد العزيز وصلاح سالم العاجلة والتى جعلتهما لايذكران كلمة " السر " أو الابلاغ عن مهمتهما ليحكموا عليه الاهمال .. ولتكون وفاته قضاء وقدراً ؟؟

- وماهى مصلحة النقراشى باشا فى التخلص من أحمد عبد العزيز هل لكراهية دفينة كشفتها الأيام أم العلاقة بينه وبين جماعة الاخوان المسلمين المعروفة بكراهيتها لرئيس الوزراء وراح ضحيتها قائد المتطوعين ؟

- وماهو سبب عدم اجراء التحقيق مع الأفراد الذين أطلقوا النيران لتحديد مسئوليتهم من عدمها بدلاً استبعاد محاكمتهم باعتبارهم منفذين للأوامر التى تقضى بإطلاق النيران على من يقترب من الموقع مخالفاً للأوامر ؟

- وهل صحيح أن ماأشار اليه بن جوريون لأبناء القدس الاسرائيلية من انتظار انفراج الوقت المتأزم وهو بالتحديد التخلص من القائد أحمد عبد العزيز وازاحته من الميدان والقضاء على المرحلة الأخيرة فى احتلال المدينة وهذا ماتحقق بالفعل؟

وتزيد التساؤلات الحادث غموضاً واثارة ليلقى " بطل لجرب الشعبية " مصرعه وهو يتأهب لاحراز النصر ..

والغريب أن شعلة الحماس لدى المتطوعين المصريين لم تخبو نيرانها بعد مصرع قائدهم وانما انطلقت تنتقم من العدو اليهودى خاصة بعد تولى البكباشى عبد الجواد طبالة قيادة الكتيبتين الأولى والثانية للمتطوعين وتمركزها فى منطقة

جنوب القدس لتكون مهمتها الدفاع عن مناطق الخليل وبيت لحم ومرتفعات صور وباهر حتى انتهت الحرب ويظل السؤال قائماً :

من قتل أحمد عبد العزيز ؟؟

هل هى مؤامرة .. ام قضاء وقدر !!

الفصل الحادى عشر

الأحرار .. تحت الحصار

فى ليالى حصار الفالوجا أعاد عبد الناصر التفكير فى تأسيس تنظيم الضباط الأحرار .. لتعود به حركة الجيش بعدها بأربع سنوات ..

ووجد عبد الناصر أمامه نوعيات على مستوى عال جداً من التهور والتردد واقتحام المستحيل .. فوضعهم فى دائرة السيطرة والتهذيب وتهدئة النفوس الجامحة وغذاهم بافكاره على الاحتجاج على الفساد الذى يستشرى داخل الجيش وقادته المتغطرسين ..

ووجد فى عملية التجنيد السرى بعد عودة الجيش مهزوماً الحل الأمثل لتكوين خلايا لها قدرة العمل المنظم لخطة الصفر لقلب نظام الحكم ..

وتنظيم عبد الناصر بدأ فى الأربعينات ليتولى مسئوليته فى نهاية ١٩٤٩ بالتحديد فاحتفظ بالقيادة وكون أول خلية سرية تضم كلاً من عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين .

كان تنظيم عبد الناصر له شكل خاص بدأه عقب عودته من السودان واستقراره فى القاهرة وكان برتبة يوزباشى ويعتمد فى تشكيله على نظام العمل السرى " تحت الأرض " .. " Under Ground " او " نظام الخلايا "

وكانت كل خلية تضم مابين ٥ و ٦ أفراد " ولاتعرف كل خلية أعضاء الخلية الأخرى وهكذا .

واختار عبد الناصر فى بداية نشاطه السرى مكاناً يملكه أحد رجال الدين فى حى الحسين ليكون بعيداً عن أعين البوليس السياسى .. ثم نقل نشاطه الى بيته فى العباسية بعد أن أصبح مدرساً فى مدرسة الشئون الادارية عام ١٩٤٧ ..

وكانت ثانى خلية كونها عبد الناصر عام ١٩٤٦ تضم عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وحسن التهامي وخالد محيى الدين .. ثم انضم اليها عبد المنعم عبد الرءوف ..

وكان ٩٠ ٪ من أعضاء الخلايا من الضباط أفراد قوة الفالوجا واصبحوا بعدها ضمن الضباط الأحرار ..

ووضع عبد الناصر ثلاثة أسس للانضمام للتنظيم تمثل دستوره السرى وتتلخص فى :

- صداقة أقوى من رابطة الدم ..
- سرية تامة ..
- حب للوطن غير محدود ..

وكانت حكاية انضمام كل عضو فى التنظيم السرى تلقى ضوءً على أسلوب عبد الناصر فى التجنيد والاقناع والسيطرة والزعامة المبكرة .

يذكر خالد محيى الدين (عضو مجلس الثورة) فى مذكراته ..

" تم تجنيده للتنظيم فى عام ١٩٤٤ وكان قبلها منضماً لإحدى التنظيمات السرية الشيوعية فى الجيش عندما دعاه صديق له لزيارة اليوزباشى جمال عبد الناصر المدرس بالكلية الحربية فى بيته بالعباسية ..

وفى غرفة المائدة كان التعارف معه وبعدها بشهور صدرت اليه التعليمات بالانضمام وتجنيد عناصر أخرى للتنظيم .. وترك خالد تنظيمه الشيوعى وأصبح عضواً بارزاً ومؤثراً فى تنظيم الأحرار ..

أما ابراهيم بغدادى (من الأحرار) فيذكر قصة تجنيده ويقول :

إن أول مرة التقى فيها بعبد الناصر كانت عام ١٩٤٢ عندما كان طالباً بالكلية الحربية .. وكان عبد الناصر برتبة ملازم أول ويدرس لهم مادة أسلحة المشاة

.. وكان قائد الفصيلة التى ينتمى لها بغدادى هو زكريا محيى الدين وأن علاقتهما استمرت ٣ سنوات لم تنقطع بعد التخرج ..

وفى عام ١٩٤٦ كان ابراهيم بغدادى يزور عبد الناصر فى مدرسة الشئون الادارية بالعباسية عندما دعاه الى بيته القريب وصادف بغدادى هناك العديد من زملائه الضباط ممن كانوا يحاربون معه فى الفالوجا أو يدرسون معه فى الكلية الحربية فى ضيافة عبد الناصر ويجلسون فى غرفة المائدة فى منزله بشارع الجلالى بالعباسية .. ويتظاهرون بمذاكرة العلوم العسكرية ..

وتكررت الزيارات لبيت عبد الناصر وتخيل بغدادى فى بادىء الأمر بأن اجتماعات الضباط كانت من أجل تحضير الأرواح .. واكتشف بعدها أن مايقومون به ماهو إلا محاولة لتضليل البوليس السياسى وإبعاده عن غرض هذه الاجتماعات الخطيرة لتشكيل تنظيم يعمل على قلب نظام الحكم ..

ويذكر بغدادى أن شقة عبد الناصر بشارع الجلالى بالعباسية شهدت أول نواة للضباط الأحرار ولاحظ أن أقوى ارتباط كان بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والذى كان شبه مقيم فى شقة العباسية ..

وكان لصالون الشقة باب منفصل يفصل فيه الزوار عن باقى غرف الشقة وكان الضيوف يتصرفون بهدوء تحت ستار الجلسات الروحية .. ولم تكن زوجة عبد الناصر تتدخل فى هذه الاجتماعات لبعدها عن باقى الشقة الصغيرة .

وكانت الجلسة تبدأ " بالمذاكرة " فى دراسات الترقى مثلاً ثم تعرج على مناقشة أحوال البلاد ومايجرى داخل الجيش ..

وكان عبد الناصر يبدأ تجنيد " الشخص " المراد بدعوته الى البيت .. بعد أن يحدد له موعداً للقاء وعادة مايكون فى الخامسة مساء نفس يوم اللقاء ثم يطلب منه بعدها دعوة زميل له يثق فيه لنفس الهدف ..

وكان عبد الناصر يبدأ بفتح موضوعات عسكرية عادية فى البداية وكانت دائماً دعوة للتدريب على ضرب النار فى موعد ومكان يحدده .. وكانت هذه هى شفرة الانضمام فإذا التزم الشخص وحضر معه زميله نجح فى الاختبار أما إذا حضر بمفرده فيكون اختياره ناقصاً لعدم قدرته على الاقناع .

وفى عام ١٩٤٧ بدأ عدد من ضباط الجيش يتطوعون للقتال فى فلسطين مع مجموعات الاخوان المسلمين تحت قيادة أحمد عبد العزيز أو مجموعات الجيش الفلسطينى تحت قيادة عبد القادر الحسينى منهم كمال الدين حسين .. ومعروف الحضرى .. وخالد فوزى .. وحسن فهمى عبد المجيد .. وكان معظمهم من رتب صغيرة " ملازم أول " أو " ثانى " أو يوزباشى .

وكان عبد الناصر يشجع الضباط على التطوع لمواجهة العصابات الصهيونية حيث يتقدمون لقيادتهم باستقالاتهم ثم يطلبون التطوع .. وكانت تتم الموافقة تنفيذاً لتوجيهات " الملك فاروق " ..

ويذكر بغدادى أن مجموعته طلبت رأى عبد الناصر فى عملية التطوع .. وطلبت منه الاتصال بهم قبل تقديم طلب الانخراط فى فصائل المتطوعين للتعرف على رأيه ..

واتصل بغدادى بعبد الناصر تليفونياً يعرض عليه مايراه زملاؤه وجاءه صوت عبد الناصر :

" كويس بس قول لزملائك ماحدش ياخد قرار فى الموضوع ده لغاية ماأقول لكم " .

ورد عليه بغدادى قـائلاً : " ولكن دول متحمسين يـافندم وموش عـاوزين تأجيل " .

وقال جمال : أنا موش بهبط عزيمتكم انما فيه كلام لازم يقال يا ابراهيم

..فاهمنى .. وأقفل السماعة " .

وروى بغدادى لأصدقائه ماذكره لهم عبد الناصر .. واعتبروه رفضاً لرغبتهم فى التطوع فثاروا واحتجوا على عبد الناصر وخالفوا رأيه وانضموا لقوات المتطوعين ..

واكتشف الضباط بعدها أن عبد الناصر كان بعيد النظر بعد أن وجدوا أن اثنين من زملائهم المتطوعين مع قوات كمال الدين حسين زرعهم عبد الناصر فى تشكيل الحرس الحديدى التابع للملك بعد عودتهما من الفالوجا عام ١٩٤٩ وهما حسن عبد المجيد وخالد فوزى .

وهذا يعنى الحرص الشديد فى عملية التجنيد وايجاد دور لكل عضو يؤيده سواء فى الحرب أو خارجه ..

ويعنى أيضاً مسئوليته عن كل شخص يضمه للتنظيم بعد اجتياز العديد من الاختبارات لقياس مدى السرية .. والاقتناع .. وتأدية الدور المطلوب ..

فى فلسطين .. زاد تفكير عبد الناصر بأمر التنظيم السرى . وضرورة عمل شىء خصوصاً بعد أن صدرت أوامر الرئاسة للقوات المحاصرة بالانسحاب " القاتل " من الفالوجا وبعد أن زادت ثورة المحاصرين واحتجاجهم على " المذبحة " التى كاد يتسبب فيها غرور الرئاسة بعد طلبهم الخروج من الحصار تحت نيران العدو الاسرائيلى .

وكانت فرصة لعبد الناصر لاقناع الضباط الصغار برفض أوامر الانسحاب بعد أن كشف لهم عن هدفها الخطير.. ووجدها فرصة لضمّ معظمهم الى التنظيم ومعظمهم من المتحمسين والمتهورين ..

وضم تنظيم الفالوجا كلاً من زكريا محيى الدين ومحمود رياض ومحيى الدين أبو العز وصلاح سالم ومحمد أحمد البلتاجى وشمس بدران وابراهيم

بغدادى وحسن التهامي وحسن صبرى الخولي ومعروف الحضرى وكمال الدين حسين واسماعيل فريد وحسن محمد أحمد عبد النبى وعبد الفتاح فؤاد .

ووضع عبد الناصر خلال فترة الحصار كل الخطوات التنفيذية لبدء مواجهة فساد القيادة عقب فك الحصار والخروج من فخ الفالوجا .

وكانت خطته فى خطوة التنفيذ بعد العودة .. تعتمد على الانتشار فى جميع ألوية الجيش ووحداته لتضم المجموعات من ذوى الاتجاهات المتباينة فى تنظيم واحد .. وكذا الاقتراب من التنظيمات السياسية مثل جماعة الاخوان المسلمين .. وحزب حدتو الشيوعى السرى وحزب مصر الفتاة وليستطيع التعرف على هويتهم الوطنية من خلال الفترات التى تسمح لهم باللقاء .

ويذكر عبد الناصر فى مذكراته عن هزيمة فلسطين :

" إن مصر كانت تملك تسع كتائب عسكرية مقاتلة دفعت القيادة بثلاث منها الى الحرب .. ثم ألحقتها بكتيبة رابعة لم تحارب وانما بقيت فى انتظار .

ويتساءل عبد الناصر : لماذا كل هذا الحشد الكبير من الكتائب ؟ ولماذا لم يستدع الاحتياطى ؟ ولماذا وصف البلاغ الأول للقيادة المصرية " الحرب " بأنها حملة لتأديب العصابات الصهيونية وليست حرباً لتحرير الأرض المغتصبة ؟

ولاحظ عبد الناصر وكتيبته السادسة عندما وصلت الى أرض المعركة عدم وجود أحد يهتم بقواته أو ارشادها لما يتعين عليها أن تفعله ..

واكتشف أن قائد الجيش الفريق حيدر منع وصول الصحفيين لمتابعة الحرب لتحجب تفاصيل المعركة عن الرأى العام فى مصر أو الخارج ..

ويسجل عبد الناصر فى مذكراته

" أن كتيبته السادسة الملحق عليها فقدت ايمانها بالحرب منذ اللحظة الأولى التى وصلت فيها الى أرض مستعمرة " النجور " اليهودية فى الايام الأولى

للحرب ..

بعد أن لاحظ قائدها الاميرالاى حسين كامل خداع القيادة المصرية فى القاهرة عندما فوجىء باذاعة القاهرة تزف للشعب فى بلاغ رسمى انتصار قواته فى النجور بينما منيت بخسائر فادحة فى الأرواح والمعدات على أيدى قوات العدو فسقط " القائد " فى بؤرة الاحباط .. ويومها قال عبد الناصر :

" لقد هزمت القيادة نفسها بعد أن حجبت الحقيقة عن الناس " !!

ويروى عبد الناصر بوصفه أركان حرب الكتيبة السادسة صورة المعركة وانعكاسها على نفسيته وكيف كان يشعر بالحيرة والعجز ناحية القيادة العليا فى فلسطين حيث يعدد لها السلبيات والاخطاء العسكرية القاتلة عندما يقول ..

" كنت أشعر أن هناك عملية بعثرة لقواتنا المحاربة فنحن نتقدم على السهل الساحلى ونترك المستعمرات الحصينة وراء ظهرنا تهدد جناحنا الشرقى وخطوط مواصلاتنا "

ويصور حالة جنوده فى المعركة ومايقاسونه من ظروف تؤثر على روحهم المعنوية فيقول :

" لم يكن لدى الجنود تعيينات طوارىء يعتمدون عليها فى المراكز الامامية ولم يذوقوا الوجبة الساخنة طوال حربهم ..وكان هم القادة احتلال أكبر مساحة من الأرض"

وكانت النتيجة فى رأى عبد الناصر كما ذكرها فى ، ذكراته :

" أن الكتائب الأربعة توزعت على خطوط طويلة .. وأصبح همها حماية نفسها ومواصلاتها من هجمات العدو المتلاحقة .

كان قائد الجيش المصرى يحارب بلا جنود مقاتلين .. أو يحكم مجموعة من نقط الحراسة على جبهة واسعة لذا فقدنا القدرة على المبادرة وكان لذلك أثره على

الروح المعنوية لأفراد الجيش ..

وكانت النتيجة نجاح العدو فى تثبيتنا فى مواقعنا وأكد لنفسه حق مواصلة المعركة وحشد قواته والهجوم علينا من حيثما يريد "

ويستمر عبد الناصر فى ذكر صورة المعركة وتطوراتها فيقول فى مذكراته :

" إن أى معركة كانت تدور ضد العدو اليهودى .. كان القائد المصرى يستهلك فيها جنود " المشاة " فى هجمات نهارية مكشوفة وأجساد عارية لاتحميها قوات مدرعة يقذف بها القائد أمام تحصينات قوية ومدافع ماكينة متحفزة للقتال فى أيدى مدربه ..

وكانت النتيجة للأسف استشهاد موجات من الجنود الباسلين تتساقط أمام النار دون خوف ..

ويتساءل عبد الناصر هل كان واجبنا أن نسوق جنودنا لمعركة ؟ أم ندفع بهم فى غير رحمة الى مجزرة فى الجحيم ؟

وكانت كلمات عبد الناصر هى محور حوارات ليالى الحصار السوداء مع الضباط الصغار الذين ضمهم الى " التنظيم السرى " وهم يواجهون هجمات العدو المتتالية دون رحمة .. يقاسون الجوع .. والعطش .. والمرض .. والعذاب ..

انطلقت من خلال الليالى السوداء .. شرارة العمل تحت الأرض ضد فساد القيادة وحاشية الملك ورجال الأحزاب ولتكثف نشاطها بعد انتهاء الحصار .. وتشريد أفراد لواء الفالوجا .

وتجمع تنظيم الاحرار تحت قيادة عبد الناصر لبدء الانطلاق الى مرحلة الضربات المؤثرة وبدأ الملك يشعر بقوة التنظيم داخل الجيش وخارجه .

وكان المناخ السياسى عقب هزيمة فلسطين يساعد على زيادة التوترفى الجيش .. والشارع المصرى .. حيث أمر الملك حكومة ابراهيم عبد الهادى - الذى

تولى رئاسة الوزراء بعد اغتيال النقراشى - باستمرار قانون الطوارىء عام ١٩٤٩ ليواجه به القوى السياسية سواء من اليمين أو اليسار ..

وازدادت الحالة الداخلية سوءاً وباتت تنذر بالخطر وشددت الحراسة على الملك نفسه خشية اغتياله وبات حبيس القصر نهاراً بينما يتسلل فى الظلام الى أماكن اللهو فى الكباريهات ..

وتفاقم التوتر فى صفوف الجيش .. بعد عودة القوات المهزومة من فلسطين .. ورفض الملك تعيين اللواء فؤاد صادق قائد الحملة المصرية .. رئيساً لأركان حرب الجيش خشية زيادة نفوذه وعين مكانه الفريق عثمان باشا المهدى مما زاد سخط الفصائل العسكرية خاصة بعد رفض تصرفات حيدر باشا نحو تشريد أفراد حملة الفالوجا الباسلة بين الكتائب وفى الوحدات .

وزادت الأزمة الوزارية بعد خلاف الملك ورؤساء الاحزاب خاصة الوفد بعد أن رفضوا تلبية رغباته الجامحة مثل اصلاح اليخت المحروسة على نفقة الحكومة أو بيع يخت فخر البحار للحكومة على الورق ليحتفظ به فى رحلاته الشخصية الى أوروبا كل عام .

وتكرر سقوط الوزارات التى كان يشكلها فاروق والتى لم تكن تستند الى احزاب سياسية تحميها ..

وكانت كل هذه الظروف فى صالح تنظيم الضباط الأحرار الذى بقى متحفزاً على الحافة السياسية ينتظر تطور الغليان الثورى الداخلى والذى شجعه حزب مصر الفتاة بزعامة أحمد حسين وأعوانه عن طريق صحيفته الاشتراكية ليزيد من السخط الشعبى على سلوكيات الملك وحاشيته والتى بلغ مداها اتهامه بحريق القاهرة وفضيحة الأسلحة الفاسدة .

وزادت الصحافة الحزبية من حملاتها ضد مساوىء الحكم تكشف مايجرى فى

كواليس الحكم والقصور الملكية من فساد وعبث بالقوانين وانتهاك للحرمات واستيلاء على الثروات ..

وزادت قوة جماعة الاخوان المسلمين بعد عودة قوات المتطوعين من فلسطين .. وبعدما اكتسبوه من فرص التدريب واستخدام السلاح وعمليات القتال .. فاقبلوا على الاعمال الارهابية ضد القصر والدعوة لاغتيال فاروق وحاشيته ..

وأمر فاروق النقراشى باشا رئيس الحكومة بحل الجماعة .. وتم التنفيذ ومصادرة أموالها بعد اغتيال حكمدار القاهرة فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أثناء حرب فلسطين ..

ووجهت الحكومة تهمة الارهاب والاطاحة بنظام الحكم الى الجماعة وامتدت موجة الاعتقالات الى قادتهم وردت الجماعة على هذا التصرف باغتيال النقراشى انتقاماً منه لقرار حل الجماعة بعدها بعشرين يوماً فقط ..

وأمر فاروق بالانتقام من الشيخ حسن البنا المرشد العام وجماعته .. وخطط رئيس الوزارة ابراهيم عبد الهادى لعملية اغتيال البنا أمام مبنى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ أى قبل عودة قوات الفالوجا بـ ١٨ يوماً فقط ..

وزادت عمليات الاعتقال ومطاردة أعضاء الجماعة خشية تفاقم عمليات الانتقام ..

وبدأت الجماعة فى تكوين الجهاز السرى لتضيفه لقوى المقاومة .. بعد تولى المستشار حسن الهضيبى منصب المرشد العام .

أما الشيوعيون فكانت نغمة جديدة على المسرح السياسى بعد الحرب العالمية الثانية وكانوا يمثلون خطراً على الملك رغم قلة عددهم وسرية عملهم تحت الأرض خاصة بعد تحديد نشاطهم السرى فى توزيع المنشورات واثارة الجماهير خاصة

العمال والفلاحين ومهاجمة تصرفات الملك وعائلته واستمرار الحكومات الضعيفة فى الحكم .

وسيطر على الملك فاروق فكرة أن الشيوعية تهدف الى خلعه من على العرش والاستيلاء على أملاكه لصالح الشعب وتحولت الافكار الشيوعية الى عقدة لديه فكان شغله الشاغل طلب التقارير عن الخلايا الشيوعية وأنشطتها من كبار القصر .

وبرزت صحيفة الملايين لسان حال الحزب الشيوعى المصرى ضمن الصحف الحزبية لتزيد هجومها على فاروق وتصرفاته .. وأصبح التهكم عليه أمراً يسبب قلقاً نفسياً لديه ..

وهكذا كان المسرح السياسى لمصر مهيئاً لتنظيم الضباط الاحرار ليمارس نشاطه فى تحقيق الأهداف التى رسمها له عبد الناصر وسط الفوضى السياسية التى تمر بها البلاد .. خاصة بعد أن اكتشف الملك فاروق مؤامرة للقيام بانقلاب ضده فى الفترة فى ١٨ – ٢٣ يناير ١٩٤٩ وهدفها القيام بحركة اغتيالات واسعة فى مقدمتها الملك .

وأشارت تقارير المخابرات البريطانية وقتها الى أن المخططين للانقلاب مجموعة من الضباط غير الراضين عما حدث فى فلسطين .. فأمر الملك بإجراء عملية اعتقالات داخل صفوف الجيش .. والقى القبض على عزيز باشا المصرى وضابطين آخرين ومعهما منشورات تدعو للثورة ومفرقعات واسلحة لم يكشف المقبوض عليهم عن سبب وجودها . ولم يثبت أن لتنظيم عبد الناصر صلة بهذة المؤامرة ..

وزادت حركة الضباط الاحرار نشاطاً .. بعد أن انتخب عبد الناصر رئيساً للجنة التأسيسية فى سبتمبر ١٩٤٩ . واتخذ لنفسه اسماً حركياً هو " زغلول "

لتمويه الاتصال به تليفونياً وحتى لايشتبه فيه أحد .

وتشكلت اللجنة من تسعة أعضاء هم عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وصلاح سالم وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين والسادات وعبد المنعم عبد الرؤوف ثم انضم اليها حسين الشافعى ويوسف صديق وعبد المنعم أمين .

واستخدم عبد الناصر سلاح المنشورات ضد الملك وحاشيته والقيادات العسكرية المتغطرسة والتى كانت سبباً فى هزيمة فلسطين .

وبدأت انعكاسات نشاط الضباط الأحرار تفضح القلق الحكومى وبرز اسم عبد الناصر فى تقارير القلم السياسى كمحرك لنشاطها .. واستدعى ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الوزراء جمال عبد الناصر ليسأله عن دوره فى هذا التنظيم ..

وشعر عبد الناصر وهو فى مكتب سكرتير رئيس الوزراء انتظاراً للمقابلة بالقلق لما يحمله فى جيبه من أوراق ربما تكشف نشاطه وبعض اسماء الضباط اذا سقط بالاعتقال ..

وتظاهر عبد الناصر برغبته فى الذهاب الى دورة المياة وهناك تخلص من الأوراق الخطيرة التى يحتفظ بها وعاد للقاء ابراهيم باشا عبد الهادى رئيس الحكومة لينكر أمامه كل علاقة بأى تنظيم يدعى الضباط الأحرار ..

* * *

كانت خطة عبد الناصر التى وضعها لسرية العمل تقوم على مرحلتين وتؤديان الى تحقيق هدفه فى التخلص من الفساد الذى بدأ يستشرى فى الجيش والوضع الاجتماعى فى البلاد .

المرحلة الاولى هى تجميع الافراد ووضع منهاج للعمل الثورى وتنظيماته ..

الثانية .. الانطلاق للمواجهة والتنفيذ ..

وعقد فى بيت عبد الحكيم عامر اخطر اجتماع سرى فى اكتوبر ١٩٤٩ تقرر

فيه توزيع الخطة على خمس سنوات ..

وكان أول منشور تم توزيعه باسم الضباط الأحرار فى وحدات الجيش بعدها بأيام وكان مكتوباً بخط اليد ومطبوعاً على آلة الطباعة الرونيو وطالب فيه الضباط الشعب بتحرير الوطن من القوات الاجنبية وإعادة تنظيم الجيش وتسليحه وتدريبه .

وهاجم المنشور أوضاع الجيش .. واستخدام الضباط الكبار والحكام لأفراده ليكونوا ألعوبة فى أيديهم يقتصر دورهم على الاشتراك فى الحفلات والاستعراضات فقط ..

وهاجم المنشور بذخ الملك والاغنياء وطالبهم بأن يكفوا عن تبذير ثروات البلاد فى المباهج والفخفخة .. وان يعملوا على رفع مستوى المعيشة للطبقات الفقيرة التى تموت جوعاً ووضع حد للاتجار المعيب بالرتب والنياشين مقابل ألوف الجنيهات ..

وقام عبد الناصر وكمال الدين حسين وصلاح سالم بتوزيع المنشور الأول على صناديق البريد الخاصة بضباط الجيش .. بينما تولى توزيعها باليد على الضباط فى وحدات المشاة والفرسان والقوات الجوية كل من زكريا محيى الدين وعبد اللطيف بغدادى وحسين الشافعى وحسن ابراهيم وثروت عكاشة ومجدى حسانين وابراهيم الطحاوى ..

وأفقد المنشور الاول صواب قيادة الجيش فأنشأوا ملفاً خاصاً باسم الضباط الأحرار وراحوا يتساءلون عن أعضائه ويطلقون البوليس السياسى فى أثره بحثاً عن دليل يقودهم الى افراده ..

ووصل المنشور الاول إلى مكتب الملك فاروق فى قصر عابدين وثارت ثائرة الملك وأمر بوليسه الخاص بالبحث عن اسماء الضباط الحاقدين الذين تجرأوا ونالوا من شرفه السامى .. ووضعوا المنشور على مكتبه الخاص فى قصر عابدين ..

وفى ذلك الوقت قدم خالد محيى الدين القاضى أحمد فؤاد لجمال عبد الناصر والذى كان يقيم فى المنزل القاطن فيه كمال الدين حسين فى مواجهة مدرسة اركان الحرب وعن طريقة قرأ معظم الملفات اليسارية والاشتراكية .. وتعرف على الفكر الشيوعى العالمى والمصرى وتعـرف أيضاً على تنظيمات الحزب الشيوعى وخاصة " حدتو " .. وضم التنظيم مجموعة من ذوى الأفكار اليسارية فى الجيش ..

ومن جماعة الأخوان المسلمين استقطب التنظيم العديد من الضباط الذين كانوا يحضرون الندوات الاسلامية .. ويشاركون فى العمل الوطنى مثل فتح الله رفعت وابو الفضل الجيزاوى وعبد المجيد كفافى وجمال منصور وسعد عبد الحفيظ ومصطفى نصير وعباس رضوان ومحسن عبد الخالق ..

وبحثت قيادة التنظيم عن رتبة كبيرة تصلح لكى تكون واجهة مقبولة لتولى رئاسة حركة المواجهة ضد الملك وحاشيته وقيادات الجيش خاصة أن معظم لضباط الأحرار كانت تتراوح رتبهم بين البكباشى (المقدم) والصاغ (الرائد) واليوزباشى (النقيب) والملازم ..

وتم الاتصال باللواء أركان حرب أحمد فؤاد صادق وكان يتمتع بشهرة مرموقة وشخصية محبوبة ومحترمة منذ تعيينه قائداً عاماً للقوات المصرية فى فلسطين خلفاً للواء المواوى عام ١٩٤٨ .. الاأنه اعتذر عن قبوله الطلب بعد أن فاتحه صلاح سالم فى الأمر قائلاً :

" لقد أقسمت يمين الولاء للملك – ولكن اذا نجحت حركة الجيش فسأكون أول من يساندها ..

واتجهت انظار التنظيم الى اللواء محمد نجيب وكان يتمتع أيضاً بسمعة طيبة .. وكان على التنظيم أن يجرى اختباراً على شعبيته فى الجيش وعلى قوة الصراع مع الملك وذلك من خلال انتخابات نادى الضباط ..

وفاتح الصاغ عبد الحكيم عامر مساعد اللواء محمد نجيب خلال حرب فلسطين رئيسه في الانضمام عندما كان يزوره في المستشفى العسكري بكوبري القبة للعلاج من اصابته في حرب فلسطين ومعه جمال عبد الناصر وصلاح سالم وهمسوا له بما يخطط الضباط الأحرار والآمال التي يعقدونها عليه في مواجهة الفساد في الجيش ..

وقبل محمد نجيب ماعرضه عليه الضباط واعتبره واجباً قومياً خاصة أنه قاسى مرارة الهزيمة في فلسطين وصدرت المنشورات باسم " صوت الضباط الأحرار " بعد أن انضم اليهم محمد نجيب ..

وانطلقت فضيحة الأسلحة الفاسدة التي استوردها تجار السلاح للجيش المصري تهز البرلمان والشارع السياسي المصري بعد أن قدم المستشار مصطفى مرعي استجوابه للحكومة الشهير عن المسئول عن اتمام الصفقة وماسببته هذه الأسلحة من وقوع الضحايا في الأرواح ..

وقاد الكاتب احسان عبد القدوس فضيحة الأسلحة الفاسدة في مجلة روز اليوسف وظهر خلالها تورط كبار قادة الجيش وبعض أفراد العائلة المالكة في توريد الأسلحة الفاسدة والحصول على العمولات والرشاوى من التجار في الخارج .

وبعد أن امتدت أصابع الاتهام الى الملك فاروق نفسه صدرت الأوامر الملكية الى النائب العام محمد باشا عزمي وقتها بوقف التحقيقات والقبض على احسان عبد القدوس ..

واستغل الضباط الأحرار الفضيحة وحولوها الى نار مشتعلة في الجيش والصحافة .. وكانت صفقة الأسلحة أول مسمار في نعش فاروق كملك توازت معها فضيحة بورصة القطن في الاسكندرية وتورط بعض أعضاء حكومته الوفد ومن بينهم زينب الوكيل قرينة رئيس الوفد مصطفى النحاس فيها .. وما أثارته فضيحة

القطن من عمليات مشبوهة فى احتكار محصول القطن وتضخم الأسعار والتلاعب فى البورصة مما أدى الى وقوع الاضطرابات الاقتصادية وغرق الفلاحين فى الديون ..

كما توازت معها أيضاً فضيحة " مستشفى المواساة " التى صاحبها صرف العمولات لحاشية الملك مثل كريم ثابت والياس اندراوس وأحمد النقيب لصالح فاروق ..

مما كان له دوى فى مجلس الشيوخ عند مناقشة الميزانية وتقرير ديوان المحاسبات .

ونقل الضباط الأحرار نشاطهم الى منطقة القتال عام ١٩٥١ .. لمواجهة الوجود العسكرى البريطانى وحيث قاموا بتدريب الفدائيين على القتال ضد الاحتلال فيما سمى بالكفاح الشعبى .. مما اقلق الملك فاروق وحاشيته ودفع وزارة النحاس باشا الى الغاء معاهدة ١٩٣٦ والدعوة لانسحاب العمال المصريين ن العمل فى المعسكرات البريطانية ..

واشتعلت معركة الفدائيين فى القناة مع القوات البريطانية وسقط العديد من القتلى والشهداء بين الطرفين ..

وركز الضباط الأحرار هجومهم على تصرفات الملك المتعاونة مع الانجليز ضد عمليات الكفاح الشعبى ..

وفقدت القوات البريطانية اعصابها ووجهت انذارها الشهير بتدمير قسم شرطة الاسماعيلية يوم ٢٤ يناير ١٩٥٢ .. وانعكاسه على حرق القاهرة بعدها بـ ٤٨ ساعة .

* * * * * * * * * * * *

أصبح تنظيم الضباط الأحرار " قوة " لايستهان بها فى الجيش فى أوائل عام ١٩٥٢ .. ووضع عبد الناصر هزيمة فلسطين ١٩٤٨ وصورة مأساة حصار الفالوجا

عنواناً لبرنامج العمل الوطنى ضد فساد الحكم وتصرفات الملك ..

وأعطى المناخ السيىء للحكم الفرصة الذهبية لاقناع مئات الضباط بضرورة الخلاص وايجاد صيغة جديدة للحياة الاجتماعية والسياسية فى مصر ..

وتعلقت الآمال بمجموعة الضباط الأحرار التى أصبح أمرها معروفاً فى كافة الأوساط السياسية والعسكرية ولكن اسماءهم ظلت سرية لايستطيع أحد أن يتعرف بسهولة بينما ذاع صيغة التنظيم وقوته فى الجيش ..

واقتربت ساعة الخلاص بعد مأساة حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ . بعد أن انتقل الكفاح من داخل الصفوف العسكرية الى الشارع المصرى ..

وأطل حريق القاهرة كنتيجة حتمية لفساد الحكم وانعكاسه على الشارع المصرى .. واستعداده لعمل أى شىء ولو فيه الدمار والتدمير ..

واستطاع تنظيم الضباط الأحرار أن يثب منها لتحقيق أهدافه الوطنية بعد أن وجد الأرض صالحة للانطلاق .. وللتعبير ..

واشارت أحداث اليوم الكئيب .. الى وقوع التعمد مع سبق الاصرار والترصد الذى دبره الجناة الأصليون للوصول بالصراع السياسى الى حافة الانهيار الداخلى الكامل ولتكون نتيجته الحتمية هى قلب نظام الحكم والتخلص من فاروق ..

وطلب الملك من مرتضى المراغى وزير الداخلية وقتها اغلاق ملف حريق القاهرة .. عندما طلب منه حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى من وزير الداخلية عدم استكمال التحقيقات بناء على تعليمات الملك ..

وأشارت الاتهامات الى اشتراك بعض الضباط الأحرار فى حريق القاهرة خاصة بعد أن لوحظ وجود جمال عبد الناصر ومحمد حلمى عبد الخالق وهو من الضباط الثوريين وسط مظاهرات الحريق ..

وضبط رجال الأمن منشوراً سرياً كان يوزع داخل القوات المسلحة بعد

الحريق أهم مايعكسه كان التفكير موجوداً بين الضباط الأحرار يدعو الى التخلص من الوفد ولكن بالاختلاف مع الاهداف التى كان يرمى اليها الملك ..

وكانت بداية المنشور سؤالاً موجهاً الى المواطنين .. وأفراد الجيش هو من عليه الأمل معقود ؟

إنه الجيش .

وهو فى الدرجة الأولى من الاعتبار ذو الأمل المنشود ، يضاف اليه عنصر آخر هو عنصر البوليس .

وزاد سخط الضباط الأحرار على الوضع الداخلى فى البلاد خاصة فى الفترة التى أعقبت حريق القاهرة فزادت المنشورات حتى وصلت إلى مكتب الملك شخصياً ..

وزادت عمليات مواجهة الفساد فى الجيش خاصة تصرفات اللواء حسين عامر ائد سلاح الحدود وصلته الوثيقة بالأتجار فى المخدرات لصالح حاشية الملك ..

وفى مايو ١٩٥٢ وضع الأحرار خطة التخلص من الملك على أن يتم تنفيذها فى نوفمبر ..

وانتشرت شائعات عن احتمال قيام الجيش بعمل ما ووصلت الى مسمع فاروق نفسه .. خاصة بعد أن نجح مرشحو الضباط الأحرار فى انتخابات نادى الضباط وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب واسقاط كل مرشحى الملك خاصة حسين سرى عامر ..

وأصدر الملك قراراً بحل مجلس ادارة نادى الضباط فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ باعتباره ركيزه للتنظيم وكانت مفاجأة للجميع .. ودلالة على أن الملك فقد أعصابه ودخل مرحلة التحدى معهم ..

وشعر أعضاء التنظيم أن الدور قادم عليهم بعد أن ترددت اشاعات أن فاروق

علم بما يدبره له الضباط وإنهم قرروا التحدى ..

وفى اليوم التالى ١٦ يوليو عقد عبد الناصر اجتماعاً حضره حسن ابراهيم وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين والبغدادى .. وتقرر فيه التبكير بتنفيذ الخطة " نصر " ..

وصدرت التعليمات السرية لكافة أعضاء التنظيم بالانتظار فى بيوتهم يومياً اعتباراً من ١٩ يوليو فى الفترة مابين الساعة الثالثة بعد الظهر وحتى منتصف الليل لاحتمال القيام فى أى لحظة بالتحرك المقرر ..

وفى يوم ٢٠ يوليو تم إبلاغ اللواء محمد نجيب باختياره قائداً للتنظيم .. بواسطة عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

وتأجلت عملية التنفيذ من ليلة ٢١ / ٢٢ يوليو الى ٢٢ / ٢٣ يوليو لحين استدعاء جميع الضباط الذين كانوا فى اجازات ..

وفى يوم ٢١ يوليو .. بدأ تجميع قادة حركة الضباط .. وقرر عبد الناصر أن يكون التجمع والاتصالات المباشرة وشخصية خشية تسرب المعلومات للقصر أو حاشيته ..

وأرسل حسن ابراهيم ليستدعي السادات وصلاح سالم وجمال سالم من العريش :

وفى القاهرة .. مر عبد الناصر شخصياً على بيوت كافة الأعضاء يبلغهم بالتعليمات والأوامر النهائية للعملية ..

فى فجر ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ انطلقت شرارة العملية " نصر " ..

ولم تجد القوات ليلة الثورة أى مقاومة تذكر من قادة الجيش سواء فى ثكناتهم أو مكاتبهم بل استسلموا لحركة الضباط الذين انتشر أفرادها يحاصرون مبانى رئاسة الجيش فى كوبرى القبة وغيرها من المعسكرات ..

ولم يصدق اللواء محمد نجيب والبكباشى عبد الناصر وزملاؤهما تهاوى الرؤوس الكبيرة للجيش أو وهم يقودوهم الى معتقل الكلية الحربية - الواقع أمام مبنى القيادة - لتزدحم بهم الحجرات .. وكان أول من سقط الفريق حسين فريد رئيس الأركان ..

وتولى محمد نجيب مسئوليته كقائد للثورة ..

أما الملك فاروق فكان وقتها فى قصر المنتزة عندما جاءه أول نبأ عن اندلاع حركة الجيش ولم تكن القوة الموجودة فى القصر تزيد على ٣٠٠ جندى وضابط ..

وقرر فى البداية أن يقاوم ولكنه تخاذل وقرر أن ينتقل بأسرته الى قصر رأس التين ..

ويبدو أن سبب انتقال الملك واسرته الى قصر رأس التين كان يرجع الى اعتقاده أن وجوده فى القصر سوف يجعله أكثر أماناً على نفسه وأسرته إذ يقع القصر بجواره معسكر الحرس الملكى وتوجد به كتيبة مشاة كما يجاوره الميناء حيث يرسو يخته الخاص " المحروسة " وبعض سفن البحرية الملكية مما تساعده على الفرار بطريق البحر إذا اضطرته الظروف لذلك ..

وكانت قيادة الحركة منتبهة الى احتمال تفكير الملك فى الهروب جواً أو بحراً ، لذا وضع مطار النزهة تحت سيطرة القوات الجوية بينما صدرت الأوامر الى جميع السفن فى ميناء الاسكندرية - بما فيها المحروسة - بعدم مغادرة الميناء الا بإذن خاص من القيادة العامة ..

ووجهت مدفعية السواحل مدافعها صوب الميناء لمنع أى سفينة من الخروج الى عرض البحر بالقوة اذا لزم الأمر ..

وأصبح وضع الملك فى قصر رأس التين أشبه بفأر فى داخل المصيدة ..

وتقرر عزل فاروق ..

وحاصرت القوات القادمة من القاهرة قصر رأس التين وقصر المنتزة بالدبابات والمصفحات .. فى نفس اللحظة التى تم فيها محاصرة قصرى القبة وعابدين فى القاهرة ..

واعطيت الأوامر بإطلاق النيران وهدم القصور اذا وقعت أية مقاومة ..

وأثناء حصار قصر رأس التين .. صعدت قوات الحرس الملكى الى الأبراج ونصبت عليها مدافع الماكينة استعداداً للمقاومة ..

وخرجت رصاصة طائشة من مدفع أحد الجنود نحو القوات المحاصرة وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت منه الرصاصة وأصيب ٧ من جنود الحرس الملكى ..

وأصيب فاروق بالهلع .. معتقداً أن نهايته قد قربت ..

وخضع فاروق للانذار الذى وجهه اليه اللواء محمد نجيب رئيس الثورة ووافق على التنازل عن العرش ومغادرة البلاد فى السادسة مساء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ..

وترقرقت الدموع فى عينيه وهو يفتش قره قول الشرف الذى وقف لتحيته عند رحيله الأخير من ميناء الاسكندرية ..

وعزفت الموسيقى السلام الوطنى ورفع فاروق يده بالتحية ثم أنزل العلم من فوق القصر وحمله أحد الجنود الى اليخت الملكى " المحروسة " ..

والتفت الملك الى على ماهر باشا رئيس الوزارة وصافحه مودعاً كما صافح المستر جيفرسون كافرى السفير الأمريكى الذى حضر الوداع وبعد لحظات وصل الفريق محمد نجيب فى موكب عسكرى كبير فاستقل زورقاً آخر ولحق بالمودعين فى اليخت حيث ودع الملك قائلاً :

– لقد اضطررنا لهذه الأجراءات ولكننا جميعاً نعمل لصالح البلاد فصافحه الملك قائلاً : باذن الله يرى جيش مصر فى عهدكم كل الخير ثم اغرورقت عينا الملك

بالدموع ..

وحياه الفريق محمد نجيب مرة ثانية مؤدياً السلام العسكرى .

وفى الساعة السادسة تماماً أقلعت السفينة بركبها متمهلة وكان فاروق يبدو فى حلته البحرية واقفاً على الحافة متجهاً بنظره الى المدينة .

وظلت السفينة تتهاوى فى عرض البحر حتى اختفت وراء الأفق فى الساعة السابعة والدقيقة العاشرة ..

وأمر جمال عبد الناصر بإنزال جميع صور فاروق وكافة اللافتات المكتوب عليها عبارة القائد الأعلى للجيش من كافة وحدات القوات المسلحة ..

كما أمرت القيادة العامة أمراً الى دور السينما بعدم ظهور صور الملك المخلوع على الشاشة عند انتهاء العرض أو عزف السلام الملكى .

وانتهت حقبة الحكم الملكى ليبدأ بعدها تاريخ الضباط الأحرار فى حكم مصر كانت بدايتها الفعلية حصار الفالوجا .

رقم الإيداع ١٩٥٤ / ٩٤
I . S . B . N
977 - 5471 - 08 - 5

الفالوجا .. لاتموت ..

بالقرب من دارى بالقاهرة .. دار عرض سينمائى اطلق عليها اصحابها اسم الفالوجا .. سرعان ما هُدمت وشيّد مكانها برجا شاهقا أختفى بعدها « الاسم » للأبد ..

ونفس الشيء وقع للفالوجا الحقيقية بعد سقوطها تحت الاحتلال الاسرائيلى عام ١٩٤٨ .. تغيرت ملامحها واختفت هويتها ونسى اهلها دورها فى حرب فلسطين ..

ولكن التاريخ لا يموت .. فمن القرية الصغيرة انطلقت شرارة العمل الثورى فى مصر لتحقق انقلاب ١٩٥٢ ولتتغير بعدها صورة المنطقة والتاريخ ..

ومنها ضرب ابطال الجيش المصرى اسطورة الشجاعة عندما وقفوا صامدين لمدة ٩٠ يوما أمام الحصار الاسرائيلى المكثف الذى وضع شعاره الموت أو الاستسلام فواجهوه بالشهادة والانتصار !!

ومن القرية الصغيرة .. سمع العالم اسم جمال عبد الناصر لاول مرة ضابطا شجاعا فى الكتيبة السادسه مشاة استطاع أن يهزم المحاصرين فى عراق المنشية .. وليغير مسار الحصار من يأس إلى انتصار ..

وليتذكر اياما كانت تحت الحصار .. ومسيرته نحو الإنقلاب !!
ولتبقى الفالوجا / سما لا يموت !!

الناشر

مؤسسة أمون الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع